مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١ مكتبة الأسرة

أحوال العاشق

أحمد الشهاوى

شعر

الأعمال الإبداعية

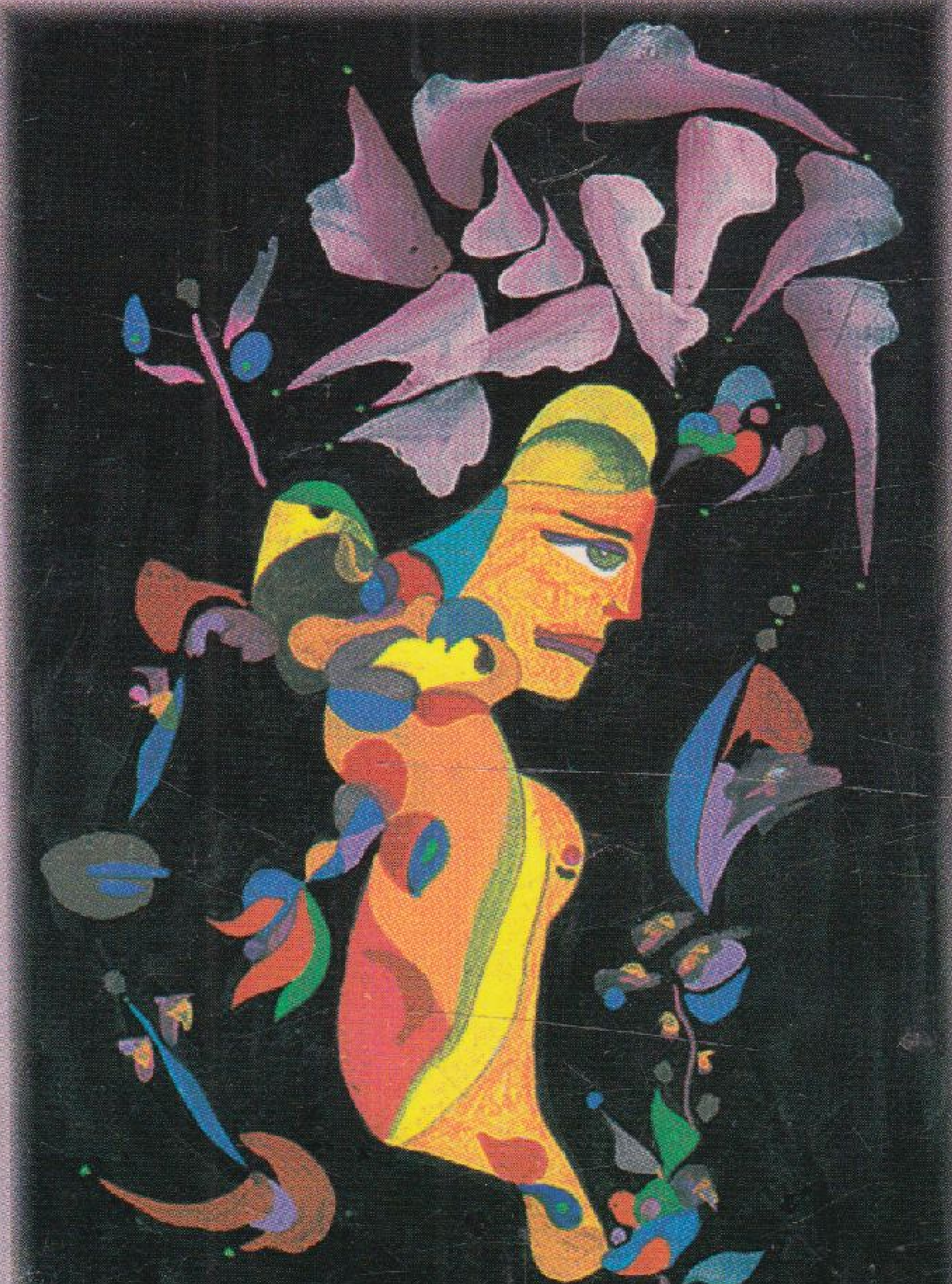

الهيئة المصرية العامة للكتاب

أحـــوال العاشـــق

أحوال العاشق

لوحة الغلاف

اسم العمل الفنى: عشق صوفى

التقنية: جواش على ورق

المقاس: ٢٠×٣٥سم

محمود الهندى (١٩٤٣ -)

فنان مصرى، له تجربة خاصة فى إقامة معارضه بين صفحات الكتب، بالإضافة إلى تصميم الأغلفة، وله فى النقد التشكيلى: قراءة لوحة، والمشروع الكبير، وفى مجال البحث الأدبى: ذكر مقتل الحلاج، وابن عروس السيرة - اللوحات - النصوص، والأغنية الشعبية فى صعيد مصر مع الدكتور أحمد مرسى، ودراسات فى شعر نزار قبانى مع الدكتور عبدالعزيز شرف، ودراسة موسعة عن شاعر الأغنية مرسى جميل عزيز، وديوان ألمظ وعبده الحامولى ، وله تحت الطبع أعلام الفن التشكيلى.

أحـــوال العاشـــق

أحمـــد الشـــهاوى

طبعـــة خاصـــة
تصدرها الدار المصرية اللبنانية
ضمن مشـروع مكتبـة الأسـرة

على سبيل التقديم :

كان الكتاب وسيظل حلم كل راغب فى المعرفة واقتناؤه غاية كل متشوق للثقافة مدرك لأهميتها فى تشكيل الوجدان والروح والفكر، هكذا كان حلم صاحبة فكرة القراءة للجميع ووليدها «مكتبة الأسرة» السيدة سوزان مبارك التى لم تبخل بوقت أو جهد فى سبيل إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية لمواطنيها.. جاهدت وقادت حملة تنوير جديدة واستطاعت أن توفر لشباب مصر كتاباً جاداً وبسعر فى متناول الجميع ليشبع نهمه للمعرفة دون عناء مادى وعلى مدى السنوات السبع الماضية نجحت مكتبة الأسرة أن تتربع فى صدارة البيت المصرى بثراء إصداراتها المعرفية المتنوعة فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية.. وهناك الآن أكثر من ٢٠٠٠ عنواناً وما يربو على الأربعين مليون نسخة كتاب بين أيادى أفراد الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً وشيوخاً تتوجها موسوعة «مصر القديمة» للعالم الأثرى الكبير سليم حسن (١٨ جزء). وتنضم إليها هذا العام موسوعة «قصة الحضارة» فى (٢٠ جزء).. مع السلاسل المعتادة لمكتبة الأسرة لترفع وتوسع من موقع الكتاب فى البيت المصرى تنهل منه الأسرة المصرية زاداً ثقافياً باقياً على مر الزمن وسلاحاً فى عصر المعلومات.

د. سمير سرحان

مهرجان القراءة للجميع
للطفل - للشاب - للأسرة
جمعية الرعاية المتكاملة

مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١
مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الإبداعية)

أحوال العاشق

أحمد الشهاوى

الغلاف

والإشراف الفنى:

الفنان : محمود الهندى

المشرف العام :

د. سمير سرحان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

نـــوال عبســى

حَالُ أَحْوَالي

وَأَلِفُ أَلِفي

وَحَاءُ حَائِي

وميمُ مواجيدي

ودالُ دولتي

أَنْتِ أحوالُ العاشق . . أنا

القاهرة فى ١ يوليو ١٩٩٥

أحمد الشهاوى

بَــدْءُ الأَحْــوَال

على نورك أقرأ أوراق روحي

أحوال العاشـق

أحمد الشهاوى

يكتبُ القلبُ

بدمِ نورهِ :

يحتاجُكِ

تشعلين هوائي ومائي بدفءِ ماءِ قَلبكِ

روحكِ تسكنُ سماواتي وأراضيَّ

فِي القرآنِ أجدُكِ ، في الأحاديثِ ألقاكِ ، في نورِ الإشراقِ تُولدين كلَّ صباحٍ . ويُستعادُ خَلقُكِ .

يُغطي ليلكِ جَسدي

ويسمقُ نيلي ، ويخرجُ على مسارِهِ

شمسي أوقفت ضوءها في انتظاركِ

وقمري يحدِّثُني سأطلعُ عليكَ من عليائها

وأنا على قلقٍ باقٍ

النأيُ يسري في دماغِ القلبِ

والقُربُ في القلبِ يدحرُ النأيَ

وَيُخلِّف شذاكِ الإلهي أَبَدًا

الوطنُ يجمعُ في سلاله الخيباتِ والهزائم ، والانكساراتِ

فألوذُ إلىٰ الملاذ . إليكِ . يا سرّ الله فى أرضه وسمائه وبحاره .

نورُكِ أبصرهُ في كتابى ، ودروبى ، ودخولي وخروجى .

به أبقىٰ . وعليه أقرأ أوراقَ روحي ، ومنه أدخلُ وَطَنَ الله حاملاً عينيكِ وليلكِ الخلّاق . وإليه أنجذبُ ، وعلى جسدِه أعرُجُ ، أصلُ إلى البلاد البعيدةِ . أرحلُ إلىٰ مسارات النفس . وأعلو بعلوّكِ .

علىٰ قلقٍ أنا .

القلبُ يكتبُ . والروحُ تقرأ ما في بحاركِ .

لكنَّ حروفَكِ لا تصلُ ، بينما كلامُ القلبِ أقرؤه وأسعىٰ فى مناكبِ روحي أشدوكِ وأسلمُكِ وجعي . فانفُخي فىّ عَسَىٰ

أبقىٰ لأراكِ وتلتقى مياهُنا . ويسكنُ بحرانا شاطئينا .

الرسائل التى تأتي لا تأتي .

قلبُك يأتي لأنّه يسكُنُنى . أنت في دار جنتي ، وجحيم عشقى ، موجودةٌ وعامرةٌ ورائحةٌ ومقيمة وذابحةٌ وَمُدْخِلتي إلىٰ الديار التى لا انتهاء لها .

أحتاجُكِ

فادخلي جنتى . واقرئى سورتى . واسألي الروح أنْ تُرسِلَ الروحَ لي ■

٥ مايو ١٩٩٢

وهـل العشق
إلاّ
موتٌ يومىٌّ ؟!

أحمد الشهاوى

لا شيءَ سواه.

هو الحُزنُ رفيقى . إقامتى في الدنيا رحيلٌ ، وسفرٌ بين موتى وعشقكِ .

وهل العشقُ إلاَّ موتٌ يوميٌّ . والقلبُ لايعرفُ منتهاه .

ولا يدركُ البدءَ . فالحبُّ يُعمِي ويصمُّ . والمسافةُ بين نيلى وبحركِ أقربُ من شفتيكِ .

قمري يغادرُني . وشموسي سقطَتْ فى الماءِ . والنجومُ التى فوقَ رأسي تعرفُنى وترحلُ دونما وداعٍ .

قبلَ قليلٍ .

كنتُ أسألُ : هل يلتقى الشتيتان بعد افتراقٍ

دائماً مفارقٌ .

حياتى ماءٌ لا يستقرُ علىٰ يدٍ . وأشجاري

ليست متجذرةً فى أرضٍ . وأرضي سماواتى . وبلادي ي ملوب الراحلين .

جئتُ الدُّنيا . فقط لأراكِ .

وبين الرؤية والرؤيةِ أحيا .

وبين اللُّقيا والفِراقِ ، أُسلِّمُ الجسدَ لرمادِ النعوشِ ، وتصعدُ الروحَ تنتظرُ .

تنشغلُ بكتابةِ الليلِ ، وتجلّيـاتِ الجسـدِ ،

وآثار ماءِ إلهيِّ في البعيدِ ، ورائحةِ خبز الشفتين . خمرةِ ما بعد الصعود ، واختفاءِ النور ، وهل ما بَعْدَ نورِكِ إلاَّ ظلمةُ النورِ .

وماذا بعد نقطةِ النونِ فى قبر الانتظارِ .

سواكِ .

أحمد الذي أعرفُهُ . نثار روحه فى البحارِ .

فمن يجمعُ ماءَ الروحِ ، لتطلعَ الأشجارُ العالية ، تَشتَّتَ في الأرضِ . النومُ يخطفُهُ من النومِ . والجنونُ على شفا . والبلادُ متروكةٌ لتقديرِ الأحوالِ .

ومن أُدركُهُم راحلون .

ولا مستقرَّ لى سوى أرض صدركِ .

هل الشجرةُ التى غرستِها فى الغربةِ . أورقتْ أو ستسمقُ ؟ .

أكانت رمزاً لتفجّر الأرضِ ؟

أوراقها العشر لم تزد . فأين ماؤكِ ؟ .

ما العمرُ إلاَّ ورقةٌ من شجرِ عينيكِ

أهى سنواتٌ عشرٌ . أم شهورٌ عشرةٌ ، أم عشرٌ بعدها مليون عشر .

ربَّما الشجرُ فى القلب يكتبُ آياتِه ، ويرتّلُ كِتَابَهُ

ويقولُ كُنْ فتكون .

قلتِ لى : أينما تولِّ وَجْهَكَ شطرَ الشجرةِ ، تجدنى فى الفروعِ ، والجذورِ ، والسيقانِ ، والأوراقِ .

احملْ الأخضرَ إلى بلادِكَ ، واتبعْ شمسي ، سأجيئُكَ فى كلِّ غيمٍ عندما يلتقى النجمُ ذو العيونِ الوسيعةِ بمحبوبته الطالعةِ من ماءِ الشمسِ .

خُذنى . واسقِ الترابَ بدمك .

واكتب في كبدِ النهارِ : «العُمر بين شمسٍ وغيمةٍ عَجْلىٰ تكتُبُهُ الصحفُ الأُولىٰ » .

هل يجيىءُ يومٌ يتحولُ الماءُ فيه إلىٰ ذكرىٰ ؟ .

أنا أشربُكِ . أَنَا نيلٌ يحملُ البحارَ فى سترتِهِ .

والذي بين أصابعنا ليس هواءً ، إنَّه عشقُ القُرىٰ ، وموال شوقِ الجسد .

النداءُ لا يتوقّفُ . والغيابُ مَلْغِيٌّ .

لكنّنى تكسَّرتْ نصالي ، أحتاجُ حِضنَ قبرها ، فاد خليني . وَأَرّخي موْتَكِ بى ، الأبجديةُ تبدأُ من أَلِفِ المحبةِ ، والمحبةُ بضعُ صفحاتٍ من كتابِنا .

وأنا أقرأُ العالمَ من فِهْرسه ، وقد تفهرستْ دنياى ولكنَّ كتابى ضَفَّتا الكونِ . الذى في الجسد يواريه الترابُ ، لكنْ تصعدُ سماواتى .

ويلتقى الشتيتان .

في منتصف المسافةِ بين حُلمى وموتى .

أقرأُ تاريخَ جسدكِ فى موسوعةِ أصابعى . وأرجعُ إلى كتابِ شوقي ، وأُريقُ دمَ الأسلافِ على أكفِّي .

ويبقى البحرُ مربوطاً بوردِ النيلِ

وتظلُّ أعمدةُ اللوتسِ أشجاراً للذي في القلب □

٢٠ مايو ١٩٩٢

بلادُ العشق
لا تعرفُ ..
« رُبَّمــا » !

أحوال العاشــق

أحمد الشهاوى

الحبُّ جوهرُ الماءِ، وسرُّ سفرِ النيلِ إلى البحرِ، ودخولُ غيمةٍ حيرى:

في سماءٍ إقليميةٍ تتسمُّ بالشسوعِ والرحابةِ . وبدءُ الخطوِ على الأرضِ ونهايةُ نهاياتِ قدمِ الإنسانِ في السعي إلى المجهول .

الحبُّ دمٌ لدمٍ يصبَّان في نيلِ القلبِ معاً .
ووجعُ أرضٍ تئنُّ من الحَذْفِ والقلعِ والشطبِ .
لا احتمالاتَ فيه ، دائماً حاسمٌ قاطعٌ شاحذٌ سكينَ الوصلِ ، ومُديةَ الفِراقِ أبدا .

هل الحبُّ يعرف «ربما» ، أو «سين» الاستشرافِ ، أو أسلوب «المشيئة» ؟!

« قلتِ : « ربَّما . . أكونُ معكْ » .

فلتخوضي حربَ القبائل على بساطِ ليلكِ الرائي ، لتصلي . وتبدئي لغةً بكراً ، وتخلُقي بلاداً لم تصلْ إليها يَدُهُ . . انشري سرَّ البدءِ في أقاليم المحبةِ ، واعلمي أن قاموسَ الوصلِ والاتحادِ واللُّقيا لم يحضن بين أوراقِ وَرْدِهِ « ربما » .

لِمَ استعرتِ لغةَ الخلقِ . وأنتِ واحدةٌ وبدايةٌ ونهايةٌ .

نونُ حِضنى ، وبدءُ مواقي ، والدارُ الآخرةُ التى نفتحُ أبوابَها وتكونُ المقر الأخيرَ .

منذ حملتْ ريحُكِ «ربَّما» .

وأنا أفتّشُ عن وطني فى خريطةِ الشوقِ والعشقِ فلا أجدُهُ . النوم يشدُّنى إلى موتٍ . . والموتُ يُحيى عظامَ محبتى . والنهارُ يدخلُ عارياً إلى غرفِ الليلِ ، يتحدان ، وما من ذريةٍ . لا ضوءَ ، النورُ مسروقٌ بقدرةِ «ربما» .

والحروفُ منساقةٌ فرادىٰ وجماعاتٍ إلى بحرِ القتلِ .

وأوراقي بيضاءٌ ، هجرتها الأحبارُ ، لا عصافيرَ تصعدُ إلىٰ شجرِ القلبِ ، ولا ماء يجري في بحارِ اليدِ .

كَوْني يضيقُ . البداياتُ يلغيها الرحيلُ ، والشموسُ تفضحُ خِداعَها ، ومياهُ وَصلِنا تنبعُ الآنَ من دمي .

هيهاتَ أنْ يسعَ الكونُ لي .

لأُلغِى علاماتِ العطفِ والوصلِ والجرِّ ، ونصيرُ إنساناً كاملاً يحملُ عبءَ الأكوانِ ، يبعثُ الاتحادَ من مرقدِ الفُرقة ، تستحيلُ الأرضُ إلى قطعةٍ صغيرةٍ من مساحةِ قلبِ العالم .

ساعتَها لن تكتبى لى « ربما » .

أو حتى تدور في ساقيةِ روحكِ ساعات الاحتمال .

لا مكانَ لكِ ، لا كَونَ يحدُّكِ .

أنتِ الكونُ والناسُ ووردةُ البدءِ ، ونيلُ النهايةِ .

ظهرتِ في أوصافِ البرّيةِ كُلِّها .

لم يأتِ ذكركِ فى كتبِ الأسبقين . ولن يأتى ذكرٌ لكِ فى كتبِ اللاحقين .

فقط أنتِ كتابُ الكون ، كتابُ الكتب ، مرجعُ الأنام ، ومختصرُ عالمِ الشوق والعشق ، جامعُ اللّذات الكبرى والصغرىٰ ، مُؤلِّفُ الوصل ، وَمُؤلّفُ القبائل .

أينما تحلّين موجودةٌ فى فيضكِ وتجلّيكِ .

تمشين كأنَّ الأرضَ تستقبلُ مخلوقَها الأولَ . هدوءَ الخطوِ . . توحشٌ ، السعيُ . . منزلةٌ كبرىٰ في القلب ، طرحُ الليل على كِتافِ الناس انفجارٌ للبراكين التى تغضبُ في قلبي . خُطْوَةٌ أولىٰ وثانيةٌ . . محوٌ للتواريخِ ، بياضُ عينيك نورُ الأكوانِ ، وإغماضةُ رموشِ بلادهما صحوٌ للسواكنِ .

أنتِ لوحي المحفوظ .

ولوحي لايحفظُ حروفَ رُبّما

فقط يحفظُ حروفَكِ . ما أقسىٰ حروفَكِ واقترابُ أَلِفِها الممدودةِ من ألفي المتحركةِ الواجفةِ الراحلةِ . من أَلِفَيْنِ شريدين إِلْفَيْنِ يبدأُ عُمرُ

الأزمانِ . وتستعيدُ الأكوانُ عروشَهَا ، وتتخلَّقُ لغةٌ تستوعبُ الأحوالَ والفيوضات والتجلّيات .

هل كُنتِ فِي الخَفَاءِ فتجلَّيتِ . فِي كونِ السرِّ فانتشرتِ ، وفاضتْ روحُكِ .

أتيتُ من بلادي حاملاً موتي . منتظراً زمني ، دخولي فى صحراءِ الحنانِ ، وعوالمِ البحارِ ، متكئاً على وحدتى ، وصمتي المكتوبُ في الروحِ بلادٌ من الشعرِ والعشقِ . هل كَانَ مُقدَّراً لِي أَنْ أدخلَ بلادَكِ في تلك الليلةِ ؟ .

وأتعرَّف الأحوالَ . وأجولَ فى صمتِ بوحكِ .

كنتِ كَنزاً مخفيًّا فَأحببتِ أن تُعرفي .

كانَ ذكرُكِ ذكري ، وذكري ذكرَكِ .

أراكِ فى النومِ والصحوِ . في التفاتةِ الأشجارِ إلىٰ عابري الطرقِ ، في انقضاء ترحالي ، وعبوري مُحيطاتِ الدفقِ .

ساعتَها .

كانت الديارُ مُهيأةً لِي . الأزمانُ السحيقةُ ، التواريخُ ، المياهُ التى تنسابُ من أصابعي ، أرائكُ الزمنِ على ملحِ جسدي ، غيابُ المسافاتِ، انتظار تقارير الأطباءِ ، الكبدُ الموجوعُ ، والساعاتُ المتبقياتُ من ليلِى القصيرِ الذي لا يستقبلُ صباحاً أبداً .

لم أَكُنْ أدري أَنَّ فى أفقِ الغربةِ محبوبةً تسعىٰ ، ستطرقُ بابَ الأقمارِ بنورِها . وتدخلُ بقدمِها الملائكيةِ اليمنىٰ ديارَ الغريب .

كنتُ أدركتُ الرحيلَ ، وانتظرتُ نعوشَ السماواتِ . وبياضَ البحارِ الذي يلفُّ الجسدَ بنسيجه ، وَعَدَدْتُ الذين سيمشون في الطريقِ الترابى الذي رصفتهُ الأجسادُ بعد ذلك .

وانبثق نورٌ من قلبِ بابِ الغيبِ .

كان الليلُ بكراً في ذاك العام . لم تشهد الدُّنيا مثله ، يقال في الأساطير إنَّه يحلُّ مرةً واحدةً كل خمسة ملايين سنة . تظهرُ فيه أُنثىٰ تتبدَّىٰ على العالمين بعلوّ مقامِها ، وتناثرِ حالها ، وقلقِ شَعْرِها ، وشفافيةِ خِصرِها ، وسموقِ جسدِها ، وانتشارِ أرِيجها في الآفاق ، تدخلُ في نورِ حبيبها الغريب القادمِ من بلادِ الفراعين ، يحملُ موتَه على كفَّيهِ ، يتقدَّمُ للقياها ، فتحوطهُ ألوفٌ من الأطيار عن يمينه ، وألوفٌ من الملائكةِ عن يسارِه . في خُطوتِهِ

تدخلُ السماواتُ في الأرضِ .

يلتقيانِ للمرةِ الأولىٰ .

ويتحدُ النوران .

يبقىٰ نورٌ واحدٌ يشعُّ يملأُ الأكوانَ .

ويدخلُ المحبُّ ديارَ روحِ محبوبه . ويمشي .

وأنا أمشي كنتُ غيباً في حضورٍ .

وبلاداً مندثرةً في بلادٍ تُوشكُ .

اتَّحدَ المحوُ ، وَصارَ عوالمَ ، وَخَلَقَ الله بلاداً لم يسمِّها بشرٌ .

ولكنْ سيسمِّيها المحبوبان ، ولن تَعرِفَ في لغتها العِشقيَّة الحروف الأربعة رُبَّ مَـا ☐

٩ يونيـو ١٩٩٢

صرتِ لي .. وكُنتُ لكِ

أحوال العاشق

أحمد الشهاوى

القاهرة صيفاً

عام ١٩٩١ ميلادية

الأرض تأخذني إلى رَحِمِهَا . راجعٌ بنفسٍ مَرضيةٍ . تلكَ سنواتٌ أقصرُ من ضحكتى . أجوسُ الشوارعَ ؛ باحثاً عن نقطة ضوءٍ ثَقَبَت القلبَ ذاتَ نهارٍ شتائىٍّ .

أجولُ فى غرفِ الرّيح ؛ باحثاً عن طائرٍ سكَنَ عينىَّ وقرّرَ الرحيلَ ، أجوبُ الأكوان ؛ علّنى أُدْرِكُ صورتها التى شربت سوادَ الأقمارِ والشموسِ فى ٢٥ مارس ١٩٦٥ ميلادية .

كانَتْ المسافةُ بين تحتي وأمامي تنأىٰ . أقتربُ؛ فترحلُ

الروحُ . على بُعد خُطواتٍ من جنَّةِ الوصولِ ؛ أجدني في نارِ الافتراقِ .

أَقرأُ : كيفَ يتمتّعُ بحلاوةِ التلاقي ، مُتوقّعُ الافتراق .

على بابِ الوصولِ ، قرأتُ فى كفِّ الحوائط الشاهِدة على انهياراتي :
يومُ التلاقي قصيرٌ كأنّه للفَنَا نظيرٌ .

ثوانٍ . على خشبِ الموتِ انتظرتُ . رأيتُ قطناً أبيضَ يصعدُ من كَفَّيّ ، وأشجاراً سامقةً كأنثىٰ البدءِ تخرجُ من هامشِ الروحِ ، وبلادًا مُؤتلفةً ـ بإذن ربِّها ـ تستقرُّ فى قلبِ الأرضِ ، وطيوراً سوداءَ ـ كَلَيْلِهَا الشتيتِ في الغربةِ ـ تردّدُ : «كلُّ نَفْسٍ ذائقةُ الموتِ » و«الحزنُ رفيقى» و«كلُّ نفسٍ تَفْنَىَ وَتَبْقَىٰ المنازلُ محفورةً بالسكوتْ / تزولُ الزوائلُ / يبقىٰ الفتىٰ / يحصدُ العنكبوتْ» .

نادتْ امرأةٌ .

هُنَا أولُ البدءِ . ونشيدُ الخِتامِ . فادخلْ . إنَّه

يتنظرُكَ . فى كلامِه نهاياتُ الأشياء وخواتيم السَّفَرِ .

[لم تكُنْ طيورُكِ قد حطّتْ على رأسي بعد . كانت اللُّقيا فى السديم . واتحادُ الماءَيْنِ في السماواتِ . والتقاءُ النيلِ بالبحرِ فى القرآنِ . قد تحقّقَ الوصلُ فى مسيرِ المصيرِ ، وانشطرتْ البلَادُ لتتوحّدَ ، كنتِ فى مراياىَ عَاليةً ، لم تلتقِ بنونى ، وتنشغلي بالنقطة فوق حرفِ الموتِ والوصولِ] .

دخلتُ .

أخرجتُ كَبدي ، على أرضٍ يدىَّ . وقلتُ له لتكُن بَدْئي وختامي .

كنتِ في الغيبِ تقرئين سورةَ الغيم ، ويقرأُ قلبُكِ «عمر بن الفارض» :

لَكَ قُربٌ مِنّى بِبُعْدكَ عنّى

وَحُنوٌّ وَجدْتُهُ في جَفَاكَا

عَلَّم الشَّوْقُ مقلتى سَهَرَ

الليلِ فصارتْ من غيرِ نومٍ ترَاكا .

لِمَ تبكينَ . ونحن لم نقبض الجمرَ بيدينا بعد . فقط أَدْرَكْنا سرّ الإقامةِ والرحيلِ ، أُخرُجي الآنَ من فراشةِ العالمِ المحدودِ . وطيري في سماواتى . أفتقدُكِ . والموتُ ينتظرُ حلولَكِ حتّى يصحَبَني في رحلةٍ لأرىٰ «نوالَ» . تُرى هل نلتقى ثانيةً .

أم فى وداعِكِ تلاقٍ دائمٍ] .

قــــرار :

في سنواتٍ قليلاتٍ قادماتٍ . قُلْ خمساً أو أزيَد قليلاً .

سيأتيكَ أسطوريٌّ عمرهُ آلافُ السنينِ ، مخالبه كجذع جميزةٍ تنامُ فى حِضْن قريةٍ ترىٰ النيلَ . لاشَعَرَ له وربَّما يكون كثيفاً . لم يستطع أحدٌ أن يحدِّد صورتَه ، رغم أنه يظهرُ كُلَّ ثانيةٍ فى الأرضِ ، لا مكانَ له ولا زمانَ . موجودٌ .

يجيئُكَ من كلِّ صوبٍ .

اسمُه «السرطان» .

غربةٌ .. عام ١٩٩٢ ميلادية

ربَّما تكونُ التاسعة مساءً . (لا أستطيعُ الحياةَ دونها وقتٍ يحدِّدُ المسيرَ والمصيرَ) .

لم تكن تعرفُ أنّى هنا . ومن أكون . مؤكدٌ أنّها لم تقرأْ لي ، ولا رأتْ صورتى على مرايا العالم .

قالت لى سيدةٌ . ستجيءُ - الآنَ - من شقّتِ البحرَ ، وخطّتِ الأرضَ، هى بنتُ قمرٍ تائهٍ فى الشموسِ البعيدة ، شعُرها أسودٌ كسماواتِ عنبٍ ذهبيٌ تحضِنُ قريةً نائيةً تدخلُ نيلَكَ فى الليلِ . فى دخولِها المكان تخرجُ جنيّاتٌ حورٌ يملأنَ الهواءَ عصافيرَ وورداً .

هى ثانية . وسترىٰ .

هيِّئ الروحَ . وأرحْ نَفْسَكَ من عناءِ الرحيلِ وسيرةِ الموتِ .

فالحياةُ آتيةٌ في رحابها . في حضورها تغيبُ البحارُ وتخرجُ الأسماكُ من عينيها .

ساعاتٌ كانَت قد مرّت علىٰ خروجِي من المستشفىٰ .

جرحٌ فى الكبدِ مازالَ ينزفُ . أعرفُ أنَّ التئامَهُ سيكونُ بعد شهرين . والمسافةُ بين غربتي وبلادِ الفراعينِ بعيدةٌ .

وموتُ الغريبِ شهادةٌ . هكذا قال رسولي . وأنا في السفرِ طائرٌ باكٍ وشادٍ على شجرِ النوحِ . أتذكَّرُ ما وقعَ منذ ألف سنةٍ . تصيرُ البلادُ تحت

فَيضِ ذاكرتي . أعيدُ ترتيبَ أوراقِ الموتِ، أرىٰ جنازي . وأقرأُ سطوراً كتبها الناعونَ بعد الرحيلِ . أمسكُ امرأةً دخلتني في أيام البدءِ . تكوَّنتْ شجرةً في الروحِ . وصبَّت دَمَ جَسدِها الأبنوسي في بحرِ نفسي ، وعلمتني كيفَ أنسىٰ النسيانَ . وأتذكَّرُ قُبلةَ الرحيلِ الأوّلِ . التقاءُ نهرين على سُلَّمِ الشوقِ . انمحاء جسدين شفَّهما وَجدُ العُمرِ .

في الميعاد . أَتَتْ .

راحت روحي للبابِ . وأطلقت عيناى طيورَها ؛ وأمسكت شعرَهَا الطائرَ فى فضاءاتِ الدُّنىٰ . وقالت هنا من انتظرلكِ عُمراً . والتقيتُها في الأرحامِ بذرةً تكوَّنت ، وخرجتْ في الأرض تسعىٰ ، فقسَّمَهَا الزمنُ ، وتشتَّتتْ ، نصفٌ فى النيل ، ونصفٌ في البحرِ .

والآنَ توحَّد النصفانِ ، وسمَّاكُما الله بحرين . بحراً .

الماءُ يدخل في الماءِ ؛ فيصيرُ سماءً لا يدخلُها إلاَّ الملائكةُ والعُشاقُ .

فَاضَت روحُكِ . وَجَالت فى الأرض . تتذكَّرين البدءَ

كنتِ نسيّاً منسياً فأدخلتكِ «نوالُ» فى بلادها ، وَمَسَحَت بكفِّها الإلهي الأيمنِ على جسدكِ . قبَّلت عينيكِ . فصرتِ لي ، وكنتُ أنا لكِ قبل سنواتٍ أربع . أو قولى دهراً . أو قبل أن يبنى الله بيتَهُ الأوَّلَ . يَخلقُ شمسَهُ الأُولىٰ .

وظللتُ أجوبُ الدُّنى . أبحثُ عمّا انشطر عنّى . وسافرَ إلى كوكبٍ بعيدٍ .

فى التقاء النصفين عشقٌ اكتملَ ، وفى توحّدِ النثارِ محبةٌ ، وفى قلبينِ تماسًا فتمايديًا فتناديًا فتلاقَيا فصارا قلباً . . رؤيةُ السماءِ الثامنة .

هل أدركتك الدهشةُ الأولىٰ ؟

هكذا سألتْ طيوري طيورَكِ . نظرتِ لى مرةً وكانت المعرفةُ ، والوصول إلى القرارِ ، وإدراكُ ما اختفى وابتعد ، وانبعثت الكِلمةُ الأولى . وَخَرَجَتْ من البئرِ أمُّ النبيّ تُدركُ «مُوسَهَا » .

تـذكُّــرٌ :

حبيبى أحمد

أفتقدُكَ .

كلَّ لحظةٍ .

لا أتعرّفُ وجهى ، ولا أعرفُ ماذا تقول لي ملامحي .

لا أعرفُ كيف أنامُ ، ولا أستطيعُ قراءةَ جسدي .

حُضـورٌ :

حبيبتى . . .

من جورِ الدُّنيا وسوءِ آثارِها عندنا أنْ تكوني ببلدةٍ ونحنُ بغيرها .

هل عرفتِني الآنَ . هذا قولى منذ ثمانية ملايين سنةٍ . وتداوله الأبناءُ والأحفادُ بعد رحيلى إلىٰ بلاد الفراعين ، وأنتِ إلى الغربةِ الواسعةِ .

هل تذكُرين ورقاً أسودَ كتبتُ فيه عشرةَ آلافِ بيتِ شعرٍ . وثلاثة ملايين رسالةٍ ممهورةٍ بدمى من فصيلةِ «الألِف» .

كانت طيوري التى ترينها ـ الآن ـ بين يديكِ ترسلُها كلّ خمس ثوانٍ . وتقطعُ أميالاً أعتقدُ أنّها عشرةُ ملايين . افترق الألِفَان .

وصارا ـ الآن ـ إلفيْنِ .

ادخلينى . واجلسى .   إقامُتكِ في العينِ .

وحلولُكِ فى الروحِ حتَّى يومَ نُبعثُ أحياءَ ، فنموتُ ونبعثُ و...... □

٢١ يونيـــو ١٩٩٢

بحطب أشواقها أشعلت البيــت !

أحوال العاشــق

أحمد الشهاوى

لا اسمَ ولا رسمَ :

تلك مدينةٌ يكرهُها القلبُ . وتقعُ على شمالِهِ دوماً . تحاولُ أن تدخلَ فى نقطةِ سرِّ البحرِ . أو حتَّى فى أقصىٰ اليمينِ . إلاَّ أنَّ المحاولاتِ المتعاقبةَ تفشلُ .

ثلاثةُ أشهرٍ متفرقةٍ متناثرةٍ من عمري القصيرِ ، قضيتُها مرغماً فى عامين متتاليين .

ولم تستطع المدينةُ أن تمزّقَ الحُجُبَ ، وتهتكَ الأستارَ ، وتلجَ رحمَ القلبِ .

دأبٌ وسعيٌ منها إلى الدخولِ . ويأبىٰ القلبُ . . وتنأىٰ النفسُ .

هل نحنُ نكرهُ المدنَ التى تذكِّرنا بموتِنا المؤجَّلِ .

هل المدنُ صورة للمحبوبِ الذي نأىٰ .

حتَّى أسماء المدن تقفُ علىٰ بواباتِ القلبِ .

ويرفضُ الحرّاس من الشموس والأقمارِ والملائكةِ أن يأذنوا لها .

سافرتُ كثيراً منذ البدءِ . وعشقتُ مدناً . وعشقتُ نساءً .

وافتتحتُ بلاداً غامضةً . وآلفتُ قِطَطاً من كلِّ جنسٍ . ورأيتُ موتي في الحقولِ والشوارعِ وعلىٰ جسورِ النيل في القُرىٰ البعيدةِ . أخذتْني «فاطمةُ» في عينيها ، وَضِعْنَا معاً في بلادِ السماواتِ ، ونزلنا إلى الأَرَضِين ، وجُبنا بحاراً ، وَجُلْنَا في العوالمِ الساحرة .

شُفْنَا قبورَ العالمين قبراً قبراً..

أَنَا الآنَ أستطيعُ أنْ أُمَيِّزَ بين القبرِ الهندي والقبرِ الصيني والقبر الذي بُني في عهد المعزّ لدين الله الفاطمي .

لذا أَنَا لا أخافُ موتي . اعتدتُ القبورَ ، وتآلفتْ نفسي معها . والأرواحُ جنودٌ مُجَنَّدَةٌ ـ بيننا ـ دائماً نأتلفُ .

إلاّ تلكَ المدينة التي لا اسمَ لها ولا رسم .

أنا لم أر في حياتي مدينةً بلا إسمٍ . فكّرتُ كثيراً أن أُسمِّيها .

هي مرتبطةٌ عندي بالأحزانِ والآلامِ والسفرِ والوحدةِ والرحيلِ والمجهولِ والفقدِ والخوفِ واللُّقيا والفِراقِ والشوقِ والعشقِ والنأي والحنينِ والقُربِ والدموعِ . . وروجر وليامز .

لم يكن العقلُ يدركُ أنّكِ علىٰ بُعدِ أميالٍ من تلكَ المدينةِ تعيشين ، وأنّ دخولي إلى تلكَ الديارِ ، قد قاربَ دخولَكِ ، ربّما بأشهرٍ معدوداتٍ .

وَلكنْ ، . كُلَّما كَانَ الجسدُ ينفتح ، وتتبدَّىٰ مشارفُ بلادِ الكَبِدِ ، وينثالُ الدمُ نيلاً من سفحِ العِشقِ تشربُهُ ملاءاتُ السريرِ العطشىٰ .

كان القلبُ يدركُ أنَّ محبوباً في السديمِ الهيولىٰ التقيتُه ، وفي البدء كُنّا معاً ، وفرّقَتْنَا السبلُ ، وجئنا من امتزاج نيلٍ ببحرٍ . يقفُ على بابٍ سمائيٍّ ويدخلُ ، يشهدُ كلَّ التفاصيل ويمسحُنى بدنيا شفتيهِ ، فأرىٰ الله وأدخلَ في سدرةِ الانتهاء .

كنتُ أعرفُ أنَّكِ أنتِ .

الأرواحُ عَرفَت وَتَلاقَت واتحدت بعد انشطارٍ دَامَ ملايين السنوات .

انْتَفَت الغُربَةُ . وَجَدْتُنى معكِ ، لكنْ أكثرَ ما كان يُتعبُنى وَيُدمي القلبَ ، أنَّكِ كنتِ دائمةَ النأى .

(هل كنتِ تعرفين الموعدَ الذي ستهلّين فيه باسمكِ ، وتمكثين فى غاباتي ، وتُشعلين البيتَ بحطبِ أشواقك وتجلّياتكِ ؛ ولذا أَجَّلنا أسماءَنَا ، وصرنَا نتلاقىٰ بالجسدِ والروحِ) .

تـــــلاق :

لمَّا هبطتِ درجات سلّمِ البيتِ الذي يبعدُ دقائق عن وسطِ المدينةِ الكبرىٰ ، عاصمة البلاد التي كانت فى زمنِ الأسلافِ امبراطوريةً عظمىٰ تأكلُ اللحمَ الحيَّ ، وتستعبدُ البشرَ ، وتقيمُ مآدبَها على دعائمِ النهبِ والسرقةِ .

تحررتِ من قيودِ معطفكِ الأحمرِ ، الذي يقيكِ من بردِ البلادِ وثلجِها ، وأطلقتِ شعرَكِ الليلَ للّيلِ .

لحظتئذٍ ، كان القلبُ يستعيدُ مامَضَىٰ ، وكانت الذاكرةُ تقلِّبُ ماءَ بحرِهَا ، وكانت النفسُ تفتحُ صفحاتِ كتابِها العظيمِ .

ذاتُ الملامحِ ، نفسُ التقاطيع ، العيونُ هي العيونُ ، الحزنُ العائشُ منذ القدمِ ، وهجُ أرواح الابتسامةِ . وسماواتُ الشّعْرِ بكواكبِها ونجومِها ، والطيورُ التى تخرجُ من عينيها ، وتحطُّ على صدرِها الهرَم ، وتأتيني ، تأخُذني لبلادِها البعيدةِ القريبةِ .

والوردُ الذي ينبتُ في أرضِ الشفتينِ ، جنّةٌ من الألوان .

زهرةٌ سوداءُ طَلَعَت تنادينى . . هي تعرفُ تفاصيلَ حُزني ، ويوماً ما كانت نابتةً فوق قبري . تُرى من الذي جاءَ بها إلىٰ هنا .

آه . نسيتُ أقولُ إنَّ تلكَ زهرةٌ غرستَها يداى في أرضِ محبوبي لتجيئنى الآنَ بألفِ حزنٍ وسيفٍ ووداعٍ ولُقيا ، وتَبْعَثَ من مرقدِ ذاكرةِ الروحِ الوَهَجَ والألَقَ .

اتخذتْ الحبيبةُ مِقْعَدَاً مجاوراً لى .

يمكن أن تقولَ إن المقعدين صارا واحداً . توحَّدَ كلُّ الذي بيننا . كانت العيونُ تسافرُ ، والأرواحُ تتجنّدُ وتأتلفُ .

وما تناثرَ وانشطرَ يتلاقَى ويتجمَّعُ .

رسالــةٌ :

«حبيبي أحمد

منذ وصولي ، وأنا مشغولةٌ بكَ .

كلُّ التفاصيلِ الصغيرةِ تحرِقُني . مقاعُدنا الصغيرة في الأماكن التي أحببتُ .

تنفسُ الجدرانِ القديمةِ أسفلَ يدي . أحلامي بالطيران ممكنةٌ هناك . بالفعل ممكنةٌ .

كلُّ ما قلناهُ ولم نقله ، وقالته عنَّا السحاباتُ أو الملائكةُ السابحةُ حولنا .

السِّحرُ يلفُّني منذ جئتُ . وأريدُ أن أكونَ معكَ » .

قبــلَ القَبْــل :

وأنا أنظرُ إليها بكُلِّي ، تراها عين قلبي ، وتدركُهَا بلادي ، وتتوحّدُ سمائي بسمائها . تذكَّرتُ رسالتَها الوحيدةَ لي ، كانت كَتَبْتها ـ على ما يبدو ـ بعشرةِ آلافِ لترٍ من دمنا الممزوج ، فقط سبع وأربعون كلمةً ، لماذا هذا الرقم هل له دلالةٌ ما في بلادها . ماذا تعني الأربعون . وماذا تعني السبع ؟ . حرتُ . وأخذني شيخي إلى البحرِ لنسبحَ . وأرمي حيرتي ، وأخرجُ صافياً لأبدأ حيرةً جديدةً .

كانت الرسالةُ مكتوبةً بالأزرقِ .

لماذا الأزرقُ؟ وأين الدمُ المكتوبُ بها . كنتُ أتوقَّعُ حروفاً قانيةً حمراءَ . ماذا حدَثَ ؟ هل سحرُ الفراعينِ أدركَهَا .

بعد اجتماعنا الأوّل قَبْلَ القَبْلِ . قبل انشقاق الأرضِ ، وارتفاعِ القمرِ في السماواتِ ، وخروجِ الشمسِ من سريرِها البدائى ووقوفِها فى شرفةِ الأكوانِ ، وتَبَدِّي الجبالِ شاهدةً علىٰ وجعي ولقائنا .

شرَّقَتْ هي . وَغرَّبتُ أنَا .

وكنتُ أظنُّ ألاَّ تلاقيا

ورحتُ أسيرُ في صحرائي البعيدةِ أنادي لا أحد :

رَاحَتْ مُشرِّقَةً وَرُحْتُ مُغرِّباً

فَمَتَىٰ لِقاءُ مُشرِّقٍ ومغرِّبِ

لم أكُنْ أعرفُ أنَّا سنلتقي .

تركتْ رسالتَها . واشترطت ، ألاَّ أفُضَّها ، إلاَّ بعد مرور مليونى سنة كنتُ كلّما اقتربت يداى لأعرفَ السرَّ ، مسَّنى ضُرٌّ . وغبتُ عن وعيي ، وصاحت الأزمنة : لا .

مشتاقٌ أنا للمعرفة . والجهلُ يقتلُ القلبَ . ولا أحد في الدُّنيا .

فقط كلانا . قبل البدءِ جئنا . وقبل الخلقِ كُنا . شجرُ التوتِ يملأُ الأرضَ، وثمار التفاح لم تتخلّق بعد . فهى الشجرُ كُلُّه . تعرفُ أنَّها ملاقيتى في يومٍ معلومٍ من أزمنةِ الأرضِ تعرفُ المكانَ والزمانَ .

وعندما دخلتْ البيتَ لم تندهش ، وَأَدْرَكَني الغمُّ . وَجرتُ ، وتاه العقلُ ، وَمُسِسْتُ .

وَقْتَئِذٍ .

أخرجتُ الرسالةَ من جيب قلبي وَفَضَضْتُها وقرأتُ المكتوبَ .

(كانتِ الحبيبةُ عندما أنهتْ كِتابةَ رسالتِها ، شقَّت جَسدي بِشَفَا شفتيها وأودعتِ الرسالة كبدي ، ولمَّا دخل روجر وليامز غرفتي ٣٢٦ وأشاع صمتاً ، وموجاً هادراً من الحُزنِ عَلاَ من عينيَّ ثم سكن بسريان المُخَدِّر وشرَّع أبوابَ الكبدِ ، سقطت الرسالةُ فوق الملاءةِ البيضاءِ ، فَفَتَحَ جيباً فى قلبي وأودعها بعدما قَرَأَ : «**رسالةٌ مني أنَا سيدةُ الأرضِ لا يَمْسَسْهَا بشرٌ لاَّ يَفُضُّها إلاَّ سيدُ الأرض وَمَن يخالفُ المكتوبَ ستدركُهُ لعنةُ الأرضِ علىٰ مدى الأزمنةِ**» .

التقى المُغَرِّبُ بالمُشرِّقةِ .

سيدةُ الأرضِ بسيِّدِهَا .

جلسنا . يشاركُنا المكانَ . سيدةٌ كونية وسيدٌ كونيٌّ هو زوجها ، وطفلها الذي يري البلادَ بجُرحِ أبيه ، ويخطفُ الممالكَ ، مستعيداً نَجمةً هاربةً من يدِ فقيرٍ كان علىٰ عتباتِ الأكوان . وخادمةٌ سمراءُ من بلادٍ بعيدةٍ ، تَرَكَتْ أعمالَهَا وشئون بيتِ مخدومتها ، وَثَبَّتَتْ عينيها . أو قُلْ روحَها ، ونارَ نفسها ، للنهل من نورِ من أَتَتْ . يبدو على وجهها

التعبُ من أَثرِ السعي من بلادٍ قديمةٍ وأزمنةٍ وَلَّت ، إلى بلادٍ لا اسمَ لها ، وزمانٍ لم تُعرفْ تواريخُهُ بعد □

٢٨ يونيو ١٩٩٢

إذا نأتْ الديارُ
أناجيكِ
بذِكْرِ قلبي

أحوال العاشق

أحمد الشهاوى

مألوفةٌ ، وقريبةٌ . وعلىٰ الرغم من التنائي ، بين جوارحي تطلعُ أشجارُها . لم تكن - أبداً - غريبةً . فقط التقى المصبُّ بالمنبع . والقريبُ بالقريبِ ، والبحرُ بالنيلِ ، والأرضُ بمائها ، وارتفعتْ هاماتُ الحشائشِ السامقة ، وفَرِحَتْ ، وغنَّتْ أناشيدَ عطشِهَا ، وانفرجتْ البلادُ مجنونةً عاقلةً هتْتُ لكَ . انتظرتُ دهوراً . كنتُ أعرفُ أنَّكَ آتٍ . وملاقينى . مائى ظلَّ آسناً ، جالساً على أريكةٍ فى شرفةِ عشقكَ ينتظرُ ماءكَ . يأخذُه إلىٰ سماواتِ الدهشةِ والفعلِ ، بداياتِ التخلُّقِ والمحو .

هل كنتَ تعرفُ أنَّ المياهَ الجاريةَ فى دروبِ الشمسِ ستلتقي يوماً .

قلتُ : ليس للعاشِق المُحبِّ من الشوْقِ
سوىٰ لذةِ التلاقي دَواءٌ .

مَسَّنى الضُّرُ . وطفتُ أقاليمَ ، والتقيتُ نساءَ الأرضِ . وعَرفْتُ لغاتٍ شتَّى . . ودخلتُ مُدناً بحجمِ دَمي ، وأدركني الانتقاصُ ، مكتملٌ أنا . . ينخرُ جداري النقصُ . وفيكِ أبلغُ اكتمالي . وفي ذروةِ اللُّقيا أصيرُ إنساناً كاملاً . يقرأُ الأرضَ . ويعرفُ لغةَ الطيرِ . تنام المعرفةُ على يدي اليمنى ، وتَسْهَرُ العلوم على يدي اليسرى ، وَتَظَلّينَ المصباحَ في قلبي مُنيرةً .

أَكُنتَ تبصرُني ببصيرتِكَ . فالديارُ ـ يا أحمد ـ نائيةٌ .

(أهى لا تدركُ أنَّ العشقَ يُسقِمُ وَيُعلُّ ، وَيُشِفُّ ، وَيُتوِّهُ ، وَيُنسي ، وَيُشطِحُ ، وَيُنطِقُ الأخرسَ ، وَيُسْمِعُ الأصمَّ ، وَيُعمِي ، ألم تكن تراني على البُعدِ ، ألم تقف على حالِ عشقي ووجعي . أَبَعْدَ عشرةِ أعمارٍ من العشقِ تسألُني . تلكَ شرورُ المدائنِ التي لا اسمَ ولا رسمَ لها) .

قلتُ : كنتُ ـ قبل ساعةِ اللُّقيا هذه ـ أراكِ بضميري إذا تعذَّرتْ الأبصارُ . وأُناجيكِ بذكرِ قلبي إذا شطَّتْ الديارُ .

سَكَتَتْ . يبدو أنَّها أَدْرَكَتْ دربَ المنحى .

وما كان ينبغي لعاشقةٍ أنْ تسألَ عاشقَها هذا .

لأنَّ مازال قلبُها يحفظُ ما كان يلقيه عليها من أشعارٍ وأحاديثٍ ومأثوراتٍ وحكم وأمثالٍ وأقوالٍ تعبِّر عن حالِهِ ، وهى فى الأساس صادرةٌ من دنيا روحِهِ ، وعوالمِ نفسِهِ . هى ما تزالُ تذكُرُ قولَهُ :

لَئِنْ حَالت الأسفارُ دونَ لقائِنا
لنحنُ بعينِ الفكر مُلتقيانِ
تصوّرتِ في قلبي لفرطِ صبابتي
كأنَّكِ لى نُصبٌ بكلِّ مكان .

عطرشان تحكي

عندما دَخَلَتْ من البابِ الخارجى ، سما قلبى ، ورقَّ وردُه ، وَصَارَ مَوْرِدًا للعشقِ والوصلِ والمحبةِ . كان شعُرها الأسودُ الطويلُ أسطورياً فى شموخه ، وروائِحِهِ التى تجمعُ بين روائح بلادِ مصرِ والهندِ . مسكونٌ ـ أبداً ـ بعطورٍ مُصفَّاةٍ بدائيةٍ ، ربَّما تعودُ إلى ما قبل ميلادِ الشمسِ. تلكَ الروائحُ أعادتني إلىٰ شَعَر أُمِّى الكُستنائي الذي يجمعُ رملَ البلادِ بطينها . كانت تتركُهُ لفعلِ الزمنِ ، وريح الصِبا ، وحركيةِ الموتِ ، ولأصابعي الصغيرةِ تشدُّهُ ، وفي أحايينَ كثيرةٍ تَقْلَعُهُ . هكذا حَكَت لي «عطرشان» في أساطيرها وحكاياتها التى لاتنتهي . هى تعرفُ أنّى آت إليها من المدينةِ البعيدةِ كى تقصَّ عليَّ أحسنَ القصصِ وأسوأها عن أُمِّي التى التقاها رَبُّها وهي في السابعة والعشرين . بينما تقول إحدىٰ قريباتي إنَّها ماتت في ٢٥ مارس ١٩٦٥ كان عمرها وقتئذٍ ستةً وعشرين، وكثيرونَ قالوا لي ، وأنا أُدوِّن تلكَ الأقاصيصَ والحكايا ، إنّها ماتت قبل الخلقِ ، وقبل الميلادِ ، وإنّها لم تنزل إلىٰ الأرضِ ، فكانتْ ـ دوماً ـ طائرةً في السماواتِ تُعاشرُ النجومَ والأقمارَ . وفي النهارِ تذهبُ إلىٰ

بيتها في إحدىٰ مدنِ الشمسِ ، تقرأُ كتابَ عشقِها . وتكتبُ رسائِلَها إلىٰ ابنها الأسطوري الذي هو من سلالةِ الفراعينِ والعربِ وربَّما سلالات أخرىٰ . فالتاريخُ بعيدٌ . والمسألة تحتاجُ إلىٰ تدقيقٍ وَحُسنِ معرفةٍ . وقد جاء ابنُها صورةً لها . بَهي . عَشَّاق ، داخلٌ في كوامنِ النفوسِ ، وعائشٌ في أوجاعِ المدنِ ، وراحلٌ إلى السماواتِ . مُدرِكٌ لدماءِ البلادِ . وعارفٌ من يحبّ .

في الغــربــةِ ...

كان التعبُ بادياً .

شاحبةً . صفراءَ ، ليست ما أعرفُ . تبدو في الأربعين . أَرَقُ الشوارعِ وَحُزنُها زادَها خمسة عشر عاماً .

لم أُعلّق . كَانَ الصمتُ ديني . وشوقُها كَانَ قَدْ قَضَىٰ عليَّ . ولا أرغبُ فى الفِراقِ مرةً . تصدَّع قلبي بَعدَمَا تَرَكَتْني ، صحيحٌ أنَّها تغيَّبَتْ عن بصري . لكنْ ـ أبداً ـ لم تتغيَّب عن قلبى أو فكِري ، وفي لُقْيَاها شفاءُ نَفْسي وَدَاؤُها .

خَلَعتْ مِعطفَ تَعَبِهَا الأحمر . ووضعتْ حقيبتَها الصغيرةَ جوارِ المقعدِ الذي يُقابلُني .

كنتُ ضيفاً علىٰ سيدةِ البيتِ وزوجِها . وكانت هى أيضاً .

(هل الغربةُ تجمعُ الشَّتيتينَ والحَزَانىٰ . في الغربةِ تعلو صاريةُ

دينكَ، وتذكُرُ الراحلينَ ، وتنسىٰ أسماءَ من تعرفُهُم معرفةً قليلةً ، وتشُدُّكَ نَدَّاهةُ التَّوَهانِ إلى الارتحالِ والسفرِ ، وتأتيكَ ذكرياتٌ قديمةٌ محفورةٌ في النفسِ كانت منسيةً فى الوطنِ ، تحنُّ إلىٰ لُغتِكَ ، ربَّما تُقدِمُ علىٰ الصلاةِ فى الأراضي البعيدةِ ، تبكي ، يدخلُ الهاتفُ رأسَكَ ، تقرأُ ما حملتَ من كتبٍ ، فقط الكتبُ التى تُخْرِجُ القلبَ عالياً . تكرهُ النظرياتِ والتحليلَ والميتافيزيقا ، تبقىٰ علومُ النفسِ هى الأولىٰ . ربَّما أو من المؤكدِ أَنْ تقرأَ كتابَكَ . أنتَ عَلَىٰ شفا من حُفْرَةِ الموتِ . تذكُرُ عشقكَ الأوّلَ ، وافتراقَكَ الأول ، وقبلَتكَ الأُولىٰ ، ودخولَكَ الأولَ في عوالمِ النارِ والسماواتِ واللذّةِ والبحارِ الوسيعةِ . في نومِكَ تأتيكَ الأساطيرُ والجنُّ . وتقتلُ أُناساً لم تَلْقَهُمْ ولم تَعْرِفْهُم من قبل . ترىٰ ابنةً لصديقكَ مخطوفةً فتهاتِفُهُ من على بُعدِ المسافةِ . قُربِ القلبِ ودُنُوِّ النفسِ . فيصرخُ فيكَ ، لا تَخَفْ ، خَفِّفِ الوطءَ في الأحلام ، إنَّ الأرضَ هُنَا بخيرٍ ، تنتظركَ لتروي عَطَشَهَا . مُهيأٌ للعشقِ . تَتَفتَّحُ مُسَامُ نفسِكَ ، ويسكُنُكَ حيوانُ الذكرىٰ كفيروسٍ كبدىٍّ مُزمِنٍ يَحارُ فيه كبيرُ أطباءِ الدُّنيا ، حتَّى ولو كان روجر ليامز) .

في الغربةِ أراكِ الأُولىٰ والأَوْلَىٰ .

أَنَا عائشٌ لكِ وبكِ .

وفي سفري باقٍ قريبٌ أشطُبُ النأىَ من لُغَتي . وأنتظرُ .

أغيبُ فأشتاقُ . ففى الغيابِ أَوْبةٌ ومصافحةٌ وتسليمٌ وعشقٌ ، موتٌ ، ولُقيا ، وأَملٌ ، وعزمٌ عَلىٰ الوصلِ والاتصالِ ، واتحادُ الماءِ بالماءِ .

في غيابكِ حضورٌ طاغٍ . وَعُمرٌ يكبرُ . وشجرٌ يطلعُ في كَفَّيَّ . ورسائلُ تأتي (على الرغمِ من بُعدِها وقصرها الشديد) . لكنَّها تُشفي ، أنا لا أشتفي من اللقاءِ . فالبُعدُ والافتراقُ يدنيانني ويجعلانني أحرقُ القلبَ بالنارِ .

صَعَدَتْ إلىٰ الطابقِ الثاني ، كانتْ سيدةُ البيتِ قد أعدَّت لَهَا غُرفةً وَزَوَّدَتهَا بما تحتاجُهُ النساءُ .

أنا لم أسأل في أى مكانٍ سَأَضَعُ تعبي ، وعلىٰ أى مخدّةٍ سأتلو أحلامي، وأرىٰ كوابيسي . أنَا لا يهُمُّني مكانُ النومِ كثيراً .

تعودتُ السفَرَ مُنذَ الطُفولةِ . وَضِعتُ في بلادٍ . وَتُهتُ . وعشقتُ بلاداً بنسائها وَكَرِهتُ قاراتٍ ولكنْ عشقتُ نساءَها .

كلُّ الغُرفِ بعد ساعاتٍ ستكونُ مأهولةً بنائميها ، غرفة السيدة وزوجها ، غرفة الطفل ، غرفة قريبٍ للسيدةِ ، غرفة من تسكُنُ النفسَ ، وتعشقُ الروحَ ، مُخْتَصَرُ النساءِ وجامعُ المفاتِنِ وأحاديثُ الجمالِ ، وشاملُ الصفاتِ والمحاسِن . وبدايةُ أَرَبِى . ومَقْصِدي ، وصلاتي وَنُسُكي ومماتي ومحيايَ ، ومائي .

وأنا .

من المؤكد أنَّ سيدةَ البيتِ سَتَخْلُقُ لي مكاناً ، فليسَ معقولاً أَن تُلْقِي بى فى الشارعِ الضيقِ الذي يطلُّ عليه البيتُ ، المؤدِّي إلى الشارعِ الكبيرِ المؤدِّي إلى الطَرِيقِ الرئيسي ، المؤدِّي إلىٰ المدينةِ التى لا رسمَ ولا اسمَ لها .

لِمَ الحيرةُ .

نحنُ في مكانٍ واحدٍ . بَعْدَ افتراقٍ دَامَ ملايين السنين .

فأنا لن أنامَ . كيفَ أُضَيّعُ وقتَ اللُّقيا فى الغفلةِ والغفوِ والنومِ والموتِ الصحو . هى موتي . وعليَّ أَنْ أفتحَ طريقَهَا ، وأقرأَ رسائلَها القديمة الباقيةَ المحفوظةَ في لوحي ، المحفورةَ في سماواتِ بلادي .

أخرجتُ رسالةً كانت قد كَتَبَتْها في غربتها التي دامت سنين بعيدةً عن أرضِها التي تتنازعُها الآنَ بينِ الشوقِ والتقاءِ الأهلِ وبينَ البُعد والتنائي ، حيث صَارَ الوطنُ ضيِّقاً على مقاسِ روحِها وَنَفَسِهَا وَحُلْمِهَا وطلوعِهَا إلى سماءِ الكتابةِ والشوقِ والإبداع وَالخَلْقِ . صَارَ وَطنُهَا غُربةً قاسيةً . وغريباً لم تَرَه من قبل . ولن تَآلَفهُ . هي البعيدةُ ترغبُ في المجيء لي . ولكنَّها تخافُ مِمَّنْ . لا أعرفُ . وربَّما هي لا تدري .

رســـالة

« حبيبي أحمد ،

أفتقدُكَ بعنف ، ولا أعرفُ كيف تمضي الأيامُ دونكَ ، ولا أعرفُ ، كيف ستمضي أيامٌ أُخَر دونَكَ .

تسلَّمتُ رسالتكَ ، أحسستُ بالثلج على قلبي بعد حريقِ الانتظارِ .

مَازلتُ لا أعرفَ هل تسلَّمتَ شيئاً مما أَرسَلْتُهُ إليكَ . حاولتُ أن أتصلَ بكَ دون جدوى . أريدُ أن أسمعَ صوتَكَ » .

٥ يوليو ١٩٩٢

بحرُها يُدخِلُني
إلى جَنَّةِ
الوصلِ والرؤيا

أحوال
العاشـق

أحمد
الشهاوى

أسرةُ هذي البلاد .. موتٌ

لرائحةِ هذه البلادِ موتٌ .

أتذكّرُ البدءَ والمنتهىٰ عندما أرىٰ وَجْهَهَا من نافذةٍ في السماء .

تنزلُ الطائرةُ مِهبطَهَا ، فيدنو الرحيلُ . ويتجمّعُ شتاتُ الذكرىٰ .

تأتي البلادُ التي رحتُها ، وأقرأُ وجوهَ من عرفتُ . وتصيرُ لدىّ رغبةٌ في الاعتذارِ عن المجيءِ إلى الحياةِ .

لا قمرَ في سمائها ، والشمسُ تطلعُ من كفنها كلّ أربعين يوماً .

منذ جئتُ إلىٰ هنا قبل ثلاثةِ أعوامٍ مَضَتْ .

والشوارعُ غُربةٌ . والناسُ غريبون ، والسريرُ الأبيضُ في «كورمول هوسبتال» يحكي لي عن غرباء من الأرضِ الواسعةِ جاءوه ، وناموا عليه ،

وماتوا فَوْقَهُ . أو سَقَطَتْ حياتُهم في ملاءاتِهِ .

الأَسرّةُ صديقٌ يحفظُ السرَّ ، ولا يبوحُ بمكنونِ النفوسِ .

الأسرّةُ . . ترىٰ ، وتصمتُ ، وتحاورُ ، وتفضحُ ، وتقرأُ ، وتمنحُ ، وتشهدُ بعيون قلبها المحبين .

الأسرّةُ كائناتٌ غامضةٌ لاتُعطي نفسها لعابري النوم . صاحبةُ تاريخٍ ، سماويةٌ وسوداءُ ، ونورانيةٌ .

أعطيتُها عشقي ، ودمي ، وبوحي ، ودموعَ قلبي ، ووجعي ، وإرشاداتِ الأطباءِ ، وتواريخَ اللُّقيا والتوّحد .

هي الوحيدةُ التى تعرفُ التفاصيلَ ، ودقائقَ البوحِ ، وماءَ البحار حين يشتعلُ مَوْجُهُ ويفيضُ ويغرقُ الرمالَ الجائعةَ الحرّانةَ . ويطفىءُ نارَ القلقِ .

الأسرّةُ سماواتٌ بعيدةٌ . تقتربُ ، وتمنحُني الوداعَ . ونشيدَ البلادِ القريبةِ . تُحصي الذين لايجيئون . وتبكي تُراثاً ضاع من الحنينِ والوصلِ . شاهدةٌ علىٰ التي جاءت مرتين ـ وربّما ثلاثاً ـ خلال دَهرٍ من الموتِ كتب بدايته علىٰ أسلفتِ النيل في القاهرة المحروسة .

الأسرّة سوداءُ أَسْرىٰ وجعي وطموحي في الدُّنوِ والاقتراب . ماهى إلاَّ ثانيةٌ من البرقِ دَنَتْ ويبتدىءُ الموتُ نشيدَهُ الأبدى .

هل يتساوىٰ سريرُ الأرضِ بسريرِ الغربةِ ؟ .

إلآى .. وهى

الكلُّ خطفةُ النومُ . إلآى . وهى .

حيث كنتُ أسمعُ بأُذنِ قلبي وَأَرَىٰ بعينِ روحي قلباً يحرقُ الليلَ الباردَ الصقيعَ . وجسدًا يسمو في السماواتِ ويبدأُ تاريخاً جديداً . يخلقُ خارطتَهُ ، ويرىٰ سموقَهُ في مرآتي ، يكتبُ سيرتَهُ منذُ الآن . يسافرُ في الشوارعِ . يتوهُ وَيجْرحُ ويثورُ ، فائرٌ لا ينام له جَفْنٌ . يعرفُ اللغةَ الأولىٰ .

تُرىٰ ماذا يفكرُ عقلُ هذا الجسد الآنَ .

هل كنتُ أحلمُ . أم تلكَ حقيقةٌ أشهدُها .

نام الليلُ . وطلع قمرانا قمراً جريئًا جسوراً جميلاً ، يُنيرُ قلبَ المكانِ الذي نجلسُ .

كانت قد صَعَدَتْ إلىٰ الغرفةِ التي أعدَّتها لها سيدةُ البيت . وكانت الأرضُ من نصيبى ، وذلك ليس جديداً عليَّ ، عرفتُ دخولَ الجسدِ فى طينِ الأرض وترابها ورمالها في الجيش ، حينما كنتُ جندياً التحق بالخدمة العسكرية فى أول أبريل ١٩٨٤ ، لا أدري هل كان ذلك كذبةً كبرى أم تلك مصادفةً ، وأيُّ عدو سنقاتلُ . هل أصارعُ ـ ومن معي ـ طواحينَ معلقةً فى هواءِ الصحراءِ الحافظ تاريخ الرمل .

أَسرَّةُ الأرض موتٌ محقَّقٌ . الطينُ يشدُّ بعضهُ بَعْضَا .

هي موتٌ في ليلِ هذي البلادِ ؛ التي لا اسمَ ولا رسمَ لها ، يُدخِلُني إليٰ حقولِ صدره أشربُ وَرَدَ الروحِ ، وأتلو وِردَ القلبِ .

صحراءُ عامرةٌ بشجرٍ تدلَّى من لدنه .

الله يقرأ خَيْبتي . ويعرفُ خَيْمَتي . يدركُ ما تُخفي الصدور .

وما لا تبوحُ به النفوسُ .

وأنا خافٍ أعظم . وبوّاحٌ أكبر للسماواتِ والبحارِ البعيدةِ .

البحرُ شقيقُ روحي .

وَمُدْخِلُني إليٰ جنَّةِ الوصل والرؤيا .

عودةُ الملائكية

لم تَقُل لي إنَّها عائدةٌ إليٰ بحري . حسبتُ أن صعودها للنومِ . ولقاؤنا سيكونُ في الصباح الباكر ؛ حيث تقومُ في ما بين الخيطِ الأبيض والخيط الأسودِ ، تعدُّ للشمسِ فطيرتَها ، تسحبُ شعرَهَا الأسودَ على كتفِها ، تأملُ ـ هي ـ أن تطلعَ شمسُ البلادِ من سجنِ سماواتها .

لم أكن قد غيّرتُ ملابسي بعد ، وتهيأتُ للنومِ ، من عاداتي أن أقرأ روحي قبل الدخولِ إلى جنَّةِ الموتِ اللذيذ . لا يسحبُني إليٰ النوم إلاَّ الإجهادُ الكبيرُ والتعبُ الأعظمُ . القلقُ يجعلُني عائشاً في عيشها اليومي، أُحصي مفرداتها . وأتحسسُ مواطنَ الدخولِ والخروجِ .

استعدتُ ، حواري الدنيوي مَعَهَا (فمثلُها ملائكيةٌ أَلْقَاها بلغةٍ

خاصةِ أحاول خَلْقَهَا الآن) ، كنتُ قاسياً ، ومنفعلاً ، وجريئاً ، وصريحاً كعادتي ، كان لساني مُنْفَلِتًا ، لم أَلْقَها قبلاً ، صحيح أنَّنا التقينا قَبل القَبْل ووقع العشق وصارت محياى ومماتي ، إلاَّ أنَّ ملايين السنين وَلَّت دونها أن نلتقي في الدُّنيا .

ليس غيرها السياسة تُحيلنى إلى كائنٍ ليس شهاوياً ، تحكمُهُ البدائيةُ ، التلقائية طريقُه ، والفِطرةُ سبيلُهُ إلىٰ الاحتدادِ في النقاش .

هل بَكَت . -أم أنَّ دموعَ القلبِ عصيةٌ ولا يراها إلاَّ ذو قلبٍ دَفَّاقٍ بَوَّاحٍ . رأيتُ دموعَها . وَجَعُها وَضَعَني على سكةِ الإيابِ . لتسقطَ الأوطانُ . فهي ساقطةٌ في وحلِ الاستلابِ والانحناءِ والبيعِ .

ويبقىٰ لها ولى وَطنٌ يكبرُ ، يسعُ الكونَ ، تدخلُ الناسُ فيه . لا بيعَ فيه ولا شراءَ .

كنتُ مُسنِدَاً ظهري إلى مقعدٍ لا أدري إلى أى عصرٍ ينتمي . والأرضُ تحتي ، أجري فى فَلَكِها . لا مستقرَ لها . أمامي منضدةٌ ليست كبيرةً ، دائريةٌ ، استخدمتْها سيدةُ البيتِ ، مكتبةٌ لدواوين الشعر ، هذا بيتٌ لا يتردّدُ عليه إلاَّ المثقفون من المشرقِ والمغربِ .

في لباسٍ حريرىٍّ أبيضَ هَفْهَافٍ ، جاءتْ . الشَّعْرُ يسكنُ الليلَ ويسكنُ بياضَ خيوط الحرير الملساء ، سروالٌ واسعٌ ، فوقه سترةٌ ، مفتوحةٌ الصدرِ إلاَّ قليلاً ، رأيتُ هو يطلُّ من قناةِ نهديها ، ويسألُني الثباتَ . فهي لي وأنا لها . واللُّقيا وقعت بعد افتراقٍ .

ثوانٍ ، كأنّها العُمر . رائحةُ جسدها عطرٌ لم يُخلَق .

في مشيتها الهادئةِ اختصارُ الأنوثةِ ، وطغيانُ الحُسنِ ، واحتلالُ الجمالِ لقبحِ هذي البلادِ .

الأرضُ انفتحت لها ، وَأَقْبلَت . مسَّ حريرُها جَسَدَ الأرضِ ؛

فاشتعلَ قلبُ باطنِ الأرضِ ومن يسكنون . بيديها الفريدتين اللتين خُلِقَتا فى سَنَةٍ مما لا نعرفُ ؛ طرحتْ شَعْرَها على أرضِ المقعدِ بعدما جاورني وجودُهَا وصارت الأرضُ لنا ، فجاءتني ريحٌ من شعرها وبعضٌ منه سَكَنَ على كتفي ووجهي الأيمن .

تَرَكتُهُ . وسافرتُ أنا إلى اتحادنا في البدءِ ، أستعيدُ الملامحَ ، وأقبسُ من نورِ الذكرىَ .

ما بيننا الآن مشتعلٌ . والأرضُ ليست تُطفىءُ شمسَ الوصل .

كانت الساعة تشير إلى الواحدة من صباح هذى البلادِ . ثوانٍ مَرَّت .

رأيت ساعة معصمى فى نورِ المكان الخافت الخامسة صباحاً .

كان النومُ يُغالبنى قبلَ مجيئها ، وَيكْرِهُنِي علىَ اتباع تعليماته وأوامرِهِ الصارمةِ .

بعدما هلَّت فِي جسدِ كَوْنٍ . ضربتُ النومَ بحذائي ، وأخرجتُ له لساناً بطول المدَى .

تحدَّثنا فِي كلِّ شىء . هو اليوم الأول . هل كانت تعرف أنها

ملاقيتي. ولذا حَمَلَتْ لباسَها الأبيض . الذى يُذكِّرُها بعُرسِ الماءِ . لم أَنسَ رسالتها لى ، رغم مرور سنواتٍ بعيدةٍ على كتابتها . مازلتُ أحتفظ بها . وأحفظها ، كلُّ رسائلها ، لا يطَّلِعُ عليها إلاَّى . الأسرارُ لدىَّ مقدسةٌ . وأنا وحدي أعرفُ نفسي وأحاورها . ولا أحتاجُ أحداً أفضفضُ إليه ، ملىءٌ أنا ، ومُحَمّلٌ بخبرات الدنيا ، ومسكونٌ بالهمومِ والتجارب ، وأعرفُ أنَّ الإنسانَ يخسرُ كثيراً عندما يظنُّ أنَّه وثق فى أحدٍ . لا أحدَ على هذه الأرضِ يحفظُ سرّاً ، أنت وَحدَك قادرٌ على حفظِ ما ترغبُ وتريد ، دعكَ من الآخرين .

لا أحدَ يدخلُ بيتي . ولا أُطْلِعُ بشراً على خصوصياتي . الجِنُّ أيضاً تفضحُ لحساب الإنس ، عالمٌ مُعقّد . وما أنتَ فيه إلاَّ ذرةٌ حيرىٰ لا مستقرَ لها .

رســالة

« حبيبى أحمد

أبتعدُ كثيراً عما كنت أعتبره الوطن . لا أمتلك خيط شعورٍ واحداً تجاهه . وأشعرُ برغبةٍ عارمةٍ لأن يكون لدىَّ طفل . أحدّقُ بالأطفال بشراهة أينما ذهبتُ . وأريدُ أن أكونَ معكَ . تلومنى على كلمة «ربَّما» لأني لا أريد أَنْ أطيرَ وأوغلَ في أحلام ورديّةٍ أصحو منها على أسفلتِ الشارعِ البغيض . أنا يا حبيبى ضدّ الطيران . و«ربَّما» فيها الكثير من التفاؤلَ والأمل ، لو دقّقتَ فيها ـ بالفعل ـ ولم تكُن أنانياً هكذا» .

١٢ يوليو ١٩٩٢

لم أدرِ في بحر
الهوىٰ ..
أينَ موضعي ؟!

أحوال العاشـق

أحمد الشهاوى

اشتياقي هاج بالتقائها

بَعدَ عُمرِ الغيابِ . وَتَشَتُّتي في الأرضِ ، وسياحتي في رملِ عينيها ، وسباحتي فى بحرِ روحها ، وَقلقي ، وَأَرقي الذي لا سكَنَ له .

قلتُ : هل سكَنَ شوقي بلقائِها ؟

هل عبوريِ البحارَ ودخولِي فى الأَرضِين إلاَّ لتَتَرمَّدَ ناري .

ويخبو أجيجي .

ما من جمرةٍ في القلبِ إلاَّ وتظلُّ نارُها عاليةً ، مثمرةً كنخلِ الله فى صحرائِها الجِنَان .

حقيقةُ أمري ، أنَّ اشتياقي هَاجَ بالتقائها .

سَقَتْني خمرَهَا ، وَصعدَتْ ، شَفَّت نفسي ، وَعَلَتْ ، أَرَّقَت رُوحي وَرَقَّقَتْها ، وَسَمَتْ ، أَلْزَمَتْني طائرَ عشقِنا الدائم في عُنقِ قلبى ،

وراحت، تستعيدُ ، وتتذكَّرُ ، أَصابَها انمحاءٌ ، وأتعبهاوَجعُ البُعدِ .

كانت نارُ اقترابها مازالت مشتعلةً ، أُحْرَقَتْ البيتَ ، وَخلَّتْني رماداً خفيفاً لطيفاً صاعداً إنساناً كاملاً حافظاً لأسرارِ الكونِ ، قارئاً لكتبِ الذكرىٰ ، وأسفار الموتِ والغُربةِ .

هَاجَتْ النفسُ ، وتنفَّسَ الصبحُ ، وجاءني النورُ من أرض صدرِها الأسطورية .

كانت ستائر البيتِ تحجبُ أنوارَ تلك البلادِ ، التى تتزيّا بالرمادى ، فلا شمس طلعت لتمحو الليلَ ، فقط هسيسُ ضوءٍ يتسلَّلُ من بينِ عيونِ الستائرِ ، لا يكادُ يبينُ .

موسيقى عينيها نورٌ ، صمتُ شفتيها نورٌ ، بحرُ نهديها نورٌ ، جسدُها المتكىءُ على مقعدٍ قديمٍ نورٌ ، تَلَفُّتُها إليَّ نورٌ ، ما بين كلامِنا وكلامِنا نورٌ .

سكوتُ الصمتِ بعد ميلادِ الحروفِ . . نورٌ صامتٌ وعارفٌ وقارىءٌ ومشعٌّ .

ما بين مفردتينِ وثانيةِ صمتٍ . . عشقٌ حتَّى حدودِ اللّاَسماءِ .

النارُ التى تخرجُ من صدرِها الكَوْنِ حارقةٌ للسكون .

والنورُ الذي يُهديهُ صدرُها للأكوان يَحْرِقُني ، وَتُسكِرُني خمرتُهُ . فَأَصرُخُ هَاذياً :

تَمَلَّكْتُمُ عقلي وطَرْفِي وَمَسْمَعي

ورُوحي وأحشائي وَكُلّي بأَجْمَعي

وَتَيَّهْتُموني في بديع جَمَالِكُمْ

ولم أدْرِ في بحرِ الهوىٰ أينَ مَوْضِعي

وأوصيتموني لا أبوحُ بسرِّكُمْ

فَباحَ بِمَا أُخفي تَفيُّضُ أدْمُعي .

النفسُ مشغولةٌ ، والعقلُ ذَهَبَ ، والجسدُ سكَنَ واقتربَ واقترنَ بروحهِ الأرضِ ، وَأَنَا وَحدي جالسٌ ـ بعد صعودِها لغُرفتها في الطابقِ الثاني من البيتِ ـ أسكرني البوحُ ، وَأَدْخَلني شوقُها إلىٰ السماوات العُلىٰ ، وما بين صعودِ جسدِهَا من أرضي ، وارتشافِ النورِ من دفءِ يديها ذُبتُ ورحلتُ وَصَعَدَت روحي مع قيامها ، تَكَلَّمَتْ الروحُ ، وانشغلَ عقلُ نفسي ، وَكَتَبَ القلبُ كِتَابَهُ ، لايستطيعُ أحدٌ قراءَتَهُ إلاّ أنا ، فهو مكتوبٌ بحروفنا ، ولغتنا ، لم يَرَها بشرٌ ، ولا نَزَلَتْ على قومٍ ، لغةُ عشقنا .

قهوةُ معرفتهما .. عشقٌ :

نفسي فَارَقَتْني ، على الرغم من أنَّا جِئنا من شجرةِ نورٍ واحدةٍ . ظَلَلْنَا دهوراً نبحثُ عن كلينا . نصفان انقسما وتوزّعا في الأرضِ . نوران انشطرا وَدَخلا في كونين ، الكونانِ لا يعرفُهُما العاشقان ، ولا هُما يعرفان أين موقعهما من الدُّنيا . معروفان عارفان مجهولان جاهلان ، المعرفةُ قهوتُهُما شرباها بأفواهِ فَهْمِهَا فأضاءت شموسَهُما وأقمارَهُما فغابا ، ونالا

مُرادَهُمَا ، ولم يبق لهما أثرٌ في الدنيا ولا الآخرة ، وسجدا ، وانكشفا ، وَكَشَفا ، وَشَافَا ، وَدَخَلا مَدَارَ العشقِ ، وظلاّ تائهين .

حتّى التقيا في تلك البلادِ البعيدة عن أرضهما التى خَرَجَا منها أوّل مَرّة .

وهل في اللُّقيا ـ هذه ـ سيصيران واحداً .

هل ما تزالُ الشجرةُ حيّةً ، رغم الرِيّاح والأعاصير ، وتغيرات الأرضِ ، وارتفاعات درجات الحرارةِ ، وتحّول سرّ المياهِ وانكشافه .

هى صارت إلى بحرٍ .

وهو صارَ إلى نيلٍ .

فهل يلتقى البحران . هل من معجزةٍ إلهيةٍ جديدةٍ .

هل بَعدَ القرآنِ قُرآنٌ .

قلتُ «ليسَ لقدرتِهِ حَدٌّ » .

وما نحنُ إلاّ تجلّياته علىٰ الأرضِ ، نسعي بنوره . وما شجرةُ نورنا إلاّ حَبّةُ خردلٍ من أشجارِه المديدةِ .

سُبحانَهُ العاشقُ الأكبرُ . شيخي ومولاى ، سمعي وقلبى وروحي وَمُوحِّدُ من افترقَ وَتَاهَ وأخذتهُ الأرضُ في رحمها لتبعثهُ من جديد .

علىٰ شطوط الموتِ .. أرىٰ

من تواصلِ ترحالي ، وَبَحثي في الأرضِ ، أخشىٰ رحيلَها ، حَلَلْتُ في ديارٍ نائيةٍ أَسألُ ، كنتُ علىٰ شطوطِ الموتِ أَرىٰ ، فلا أحدَ . كلُّ اللائى رأيتُهن في مَسيري ، قبسٌ منها ، لم أجد واحدةً تُشبهها .

فهي واحدةٌ وفريدةٌ وفي السماءِ ساكنةٌ وعاليةٌ . لا مستقرٌ لها .

نحنُ الآنَ في منزلٍ واحدٍ .

مَرت أزمانٌ ، والشتاتُ طريقُنا ، لم يدخل اليأسُ بابى . كنتُ أعرفُ أنّى مُلاقيها ، رُبَّمَا في الوقتِ الذي بين صعودِ الروحِ في الغُربةِ ، وصعودِ نفسي إلىٰ وجهها أَرىٰ النورَ ، وأرمى شوقَ سنينى إلىٰ جبال شفتيها وأشهدُ . فى التقاءِ شفاهِنا موتٌ لنا وصحوٌ ، وفي مسحِ وجهي بطرفِ شفتيها صعودٌ وَشَوْقٌ ، وفي فيضِ ماءِ سُكْرنَا دخولٌ إلى نقطتين في اسمها أو ربَّما أربع .

هل يمكنُ بعد اللُّقيا ، أنْ تُضيعَنا المسافاتُ ، وَنَنأىٰ .

أيمكن لى أن آتي كلَّ أشهرٍ أو كلّ عامٍ . هل تستطيعُ السفرَ ـ أو ربَّما العيشَ ـ كما قالت معي .

من شدّة الشوقِ أخشىٰ الضياعَ .

ومن عناءِ البحثِ ، ووهج الذكرىٰ ، وَدَمِ الأرضِ ، أخافُ انسحابَ الوَجْهِ من الأرضِ .

هل نامت الآنَ . هل الرؤيةُ ـ بعد افتراقٍ ـ أصابتها بمسٍّ من عشقي، وَدَّعتُها بقلبي ، صاعدةً داخلي ، وذاهبةً إلى مَرْقَدِهَا ، تَتَهَيَّأُ للبَوْحِ والتذكُّرِ والوقفِ فى قلبِ نارِ الوَحْدَةِ الأولىٰ .

حيّةُ الهوىٰ .. وكبدي

أريدُ النومَ ولا أريدُ .

النومُ سيحرمُنى من استعادةِ الساعات التى مكثناها معاً .

أعزُّ ساعات العُمرِ الإمساكُ بجمرِ الشوقِ في الصحوِ بين موتِ النومِ، والإغفاءةِ الأولىٰ . ساعتها يكونُ الكونُ مُلكي . أنسىَ هَمَّ الدنيا وشواغلها ، ويصيرُ المعشوقُ شاغلى ودنياى .

لكن بعد ساعاتٍ قليلةٍ . علىَّ أن أذهبَ إلى «روجر وليامز» فى «شارع كرومول» ، حيث «مستشفى كرومول» في وسط المدينة .

منذ زمنٍ ولَّى ، ربّما وَأَنَا فى العاشرةِ ، أعرفُ أنىَّ ضيفٌ عابرٌ على أديم هذه الأرض ، وأنَّها مُلاقيتى بعد حينٍ قصيرٍ ، وَأَنّى مُرسَلٌ لقضاءِ حاجةٍ ، وسأصعدُ .

كنتُ مُقَدِّرًا لنفسي أن أموت فى عام ١٩٨٥ . وهو العام العاشر بعد رحيل أبى في ١٣ أكتوبر ١٩٧٥ . والعامُ العشرون بعد رحيل «نوال» فى ٢٥ مارس ١٩٦٥ . لكنَّ الموْتَ لم يَفِ بالوعدِ . وأخلَفَ زيارتَهُ الجميلةَ .

وقال لي : أنا حَلَلْتُ أينما تكونُ . وَأُدْرِكُكَ في كلِّ أرضٍ . وما تأجيلى إلاَّ لحكمةٍ ستعرفُها عندما نلتقى .

قلتُ له : ولكنّى رأيتُكَ كثيراً والتقينا فى بلادٍ شَتَّى ، وما قُلتَ شيئاً ، وأراكَ في غُربتي تَعْبَثُ بروحي ، حتَّى صرختُ فى وجهكَ مَرَّةً :

قد لسعتْ حَيَّةُ الهوىٰ كبدي

فلا طبيبَ لها ، ولا راقِ

غيرُ الحبيبِ الذي شَغُفْتُ به

فإنّه رُقْيَتِي وترياقي .

قال : لقاءاتي كثيرةٌ .. وصوري عديدةٌ . وحكمتي مستترةٌ . وحبيبُكَ معك ، فاتْبَعْهُ ، واتَّبِعْهُ □

١٩ يوليو ١٩٩٢

بُعادُكَ ناري
واقترابُك
جَنَّتي !

أحمد الشهاوى

وحدي هنا . لا أريدُ أنَ أُكلِّمُ أحداً .
الشوارعُ التي تأوي قلبي طوالَ النهار والليل مقبرةٌ مُؤَجَّلةَ ، وصديقٌ غريبٌ . . رغم أنَّا التقينا كثيراً ؛ فإنني لم آلفه بعد ، ويبدو أنه لن يدخلني . مُجرد عابر سبيلٍ .
وأنا أملُكُ الكونَ وحدي .

تلك الشوارعُ تعرفُ ساكنيها . تدركُ أنّي وافدٌ ، لستُ مقيماً . هل أَضِيعُ في ذراتِها . هل سوادُ الأرض الملساء يقرأُ وجهي . ويحفظُ ملامحَ النفسِ ، ويتلو نشيدي .

ما مَوْتُ المصريِّ إلاَّ حياةٌ وديمومةٌ أبدا ، فالموتُ كتابُهُ الذي لا تبلى أوراقُه ، ولا تُنسىٰ سطوره .

قرَّرتُ ألاَّ أموت .

وفى الغربةِ . لا .

أحمل كلَّ ما يدلُّ على هُويتى . أوراقٌ ، وملامحُ ، وبطاقاتٌ باللغتين العربية والإنجليزية وربّما بلغاتٍ شتَّى ، وصورٌ لي ولمن أحبُّهم ، وتاريخ ميلادي ، وتاريخ رحيلى الذي أريدُ .

حقيبتى الجلدية التى يحملها كتفى الأيسر ، شاهدةٌ ، ومكدَّسةٌ بتفاصيل . وقصائدُ أنهيتُها وأخرى سأعيدُ قراءتها ، وربَّما ألغيها ، أو أحذفها من الذاكرة . فليس كل ما أكتبُ من شعرٍ أنشرُه على الناس .

كتاباتي في السنوات الأخيرة موتٌ .

إننى أكتب نفسي . والموتُ نفسي . هو الآن صديقى الذي أحبُّهُ . بيننا لقاءاتٌ وعهودٌ ومواثيقُ ومواعيدُ سابقة ومؤجَّلةٌ .

ولكنِّى . . قررتُ ألاَّ أموت .

من سيعرفُنى هنا . لى أصدقاءُ كثيرون . كيف سيعرفون أنِّى أمشى فى شارع (كذا) أو شارع (كذا) .

هل لوسقطتُ فى « ميدان الموت »من سيدركُنى . أو يحاول قراءةَ هويتى .

إلى قطار الرحيل .. أمشي

منذ زمنٍ بعيدٍ . . أتخيلُ شكلَ جنازي ومن سَيَسِيرُ فيه .

من سيتركُ القاهرةَ لليلة حتى يلحقَ بجثماني المسجَّى . في نعشٍ جميلٍ رائعٍ مغُطَّى بقماشٍ أسودَ حريريٍّ ربَّما صُنع فى أخميم أوطوكيو أو

كلكتّا أو شنغهاى . تتخلَّلُهُ سحاباتٌ بيضاءُ ، تشكيلُ أحبَّةٌ .

يذكِّرنى بحياتى . وبلون ملاءات الأسِرَّة التى نمتُ عليها . دائماً ما أطلبُ اللونَ الأسودَ المعجون بالأبيض القليل الخفيف .

من سيقرأ الفاتحة . أو يقرأ اللعنات . من سيشربُ القهوةَ السادةَ حزناً أو فرحاً أو مجاملةً . ومن سيشربُ خمرَ حبيبته ليطفىءَ نارَ وَجعِ الفراقِ والموت الجميل .

من سيكتب مرثيَّتَهُ وينشرها . ومن سيكتبُ حُزنَهُ ويحفرُهُ على جسد أنثى الخُرافة ، واختصار الفتنة . ليكونَ شاهداً أبدا .

بَكىٰ قلبى . ، وانفطرت نفسي . وَهَتَفَتْ الروحُ : للبعيد . الذى سافر اليومَ إلى مدينته التي لم أرها . هل يدعوننى- لزيارتها . ونُكملُ اللُّقيا .

راحت للقطار . فمدينتُها تبعدُ ساعتين عن المدينة التى لا اسم ولا رسم لها . ورحتُ أنا لقطار الموتِ الذي أركبُه منذ جئتُ .

للقطارات شكلُ الرحيل . ووجع البعدِ. وذكرى الجامعة . والأصدقاء الذين تشتَّتوا فى الأرض . وهاتف النعى . ونشيج الروحِ .

القطاراتُ موتٌ . ونأىٌ . ونفىٌ . تشدُّنا إلى البعيدِ وتلقي بنا إلى أرضٍ مجهولةٍ . نغيبُ فيها أو نكتشفُها . وَتحدِفُنا فى نيلِ الأحبَّةِ قرباناً وتقرُّباً .

إلى قطاري مشيتُ ، وقبل الوداع تواعدنا . لنلتقى قبل ٥ مارس . في المدينة .

بعدها نقرِّرُ ماذا نحن فاعلان .

وَحَبْلي يشدُّني إلى روحها . سَلَّمتُ . تهاتفتْ سماواتُ الأصابعِ ، وقالت نشيدَها . وَقَرَأتْ ختامَها ومبتدأها . قلتُ لحبيبي .

بعد ثوانٍ مِن الشّوْق والدمَ سيغادر المكان ويبقى فيَّ :

ترفَّق بقلبي في هواكَ فإنَّما

بُعادُكَ ناري واقترابُكَ جَنَّتي

برُ من العشق

حملتْ حُزنَ الفِراقِ وغابت في زحامِ البشرِ والقطارات ، وِجْهَتُها مدينةُ « برُ العشقِ » . هذا اسمُها . هل مصادفةٌ أن تختارَ هذه المدينةَ للعيشِ والسكْنىٰ . لماذا لم تسكن مدينة « عشق آباد » تلك المدينة الآسيوية الأسطورية ؛ فنساؤها قريباتٌ منها في اللغةِ والعيونِ الوسيعةِ والحُنُوِّ والشعر الأسود والشفاهِ الجنَّة ما أن يذوقها بشرٌ حتَّىٰ تدركَه الجذبةُ الكَبرى ويصير قطباً أعظم . يمتدُّ به العمرُ طويلاً .

أفي الأرضِ مدنٌ أخرى تحملُ اسمَ العشق .

عندما أعودُ وطني سأقرأُ معاجم البلدان . وكتابات الرحَّالة . وأسفار العشاق ؛ ربَّما أعثر على شيء . فنحن لم نحط بالكون . وما أدركناه قليلٌ . ، ومعرفتنا جهلٌ . وقهوةُ معرفتنا نقطةٌ في بحرِ قهوة العَالَمِ .

ستأتيكَ مني قهوةٌ إنْ شَرِبْتَها

صحوتَ وفي صحو الهوىٰ كُلُّ سَكْرَتي

هكذا ، أقول دائماً لحبيبى .

سكْري شهودٌ ، حضورٌ ، تجلٍّ للغيبِ، وموعدٌ للغيابِ ، وموقفٌ للغائبِ الذى يهتفُنى ليليًّا . وفردانيةٌ ووحدةٌ . وصمتُ الذى ملأ الدُّنيا حياةً .

وخيطُ ناي ٍ يتلو سورةَ الموتِ ، ونجمٌ يحطُّ على نافذةِ روحى .

سماءٌ تنامُ على كَفّى وتُفرّخُ بَيْضَهَا .

رسالــة

فى يدي رسالةٌ فَضَضْتُها :

« منذ أسابيع ولدىَّ شغفٌ هائلٌ بالأمومة ، ولعٌ حارقٌ بالأطفال . أراني أحدّقُ بالأطفالِ ، وكُلّما سنحت فرصةٌ للمس شعر طفلةٍ أو أصابع طفلٍ في مكانٍ ما ، أشعرُ أنَّ قلبى يحترقُ. ممزّقةٌ بين أنْ أفعلَ شيئاً لوطنى ، أو أن أفعلَ شيئاً لنفسي . ممزّقةٌ بين أن يشربَ جسدي أو تشرب أرضُ وطنى . الحريقُ يُؤرِّقني وأطرافٌ تشدُّني إلى اتجاهات مختلفةٍ ، وأكادُ أجنُّ ، لولا . .

أحتضنُ رسائلَكَ ، وأقرؤها ، وأحلمُ ببيتٍ صغير يجمعُنا وربَّما بنت صغيرة أُعلّمها « الخياطة » وتُعلِّمُها « الشِّعرَ » . . »

ما أنا إلاَّ موتٌ

لم أنتبه إلى هذي الرسالة إلاَّ بعد دخولها في جسدِ الزحامِ . وبكاء القطارات . وعبورها سماوات الدمع .

هل كتبت الرسالةَ أمسَ . لم يكن لديها وقتٌ . متى . أين ؟

أهي من بقايا تراثِ اللقاءِ الأوّل ، قبل الإنشاء . والحياةِ . فى السديم . فيما لم يُسجلْهُ التاريخُ . عندي رسائل كثيرةٌ منها .

منها ما كتبته على صفحات الأنهار ، ومنها ما وجدْتُه خلال أسفاري في بحار بعيدةٍ . هل كانت تعرفُ أنى سأتجهُ إلى طشقند ، أو صقلية ، أو فاس ، أو دلهي أو كفر المياسرة .

في كل مكان ذهبتُ . قرأتُ وحملتُ الرسائلَ . إشارةٌ إلى أنَّها تحيا . فى مكانٍ ما من العالم . لم تسمِّ مدينتها . لم تحدِّد .

هل أرادت أن تجعلني مشدوداً إلى خيطِ طائرتها .

أبعد عشقى ، هى فى حَيْرةٍ وَشكٍّ .

وما أنا إلاَّ موتٌ ينادي حياةً فى قلبها ، وسماءً فى كفِّها ، وشمساً فى نور عينيها ، وبحراً في دنيا جسدها الواسع الرحب . على جباله أصعدُ . وفى سهوله أنام كفارس . وعلى مرآتِه أرى روحي .

وبين نجمتيه أشربُ خمرَ فرحي باللُّقيا ، وفي سماءِ شَعْرِه أُخَبِّىءُ وجهي وأنام حالماً بطفلةٍ في الجِنَان .

أظلُّ أبداً لا يدركُنى نهارٌ . ولا يتنفسُ لي صُبْحٌ . الليلُ رحمي الذي أسكنُ ويربطُنى بـ « نوال» القريبةِ ، شذا التراب ونبتُ الصحارىٰ ، وعينُ ماءِ الوَهَج .

بكِ يا كعبةَ الهوىٰ طافَ قَلْبِي

وبدا بارقُ الصَّفَا فَسَعيْتُ

رقمٌ أنا وسوار

منذ دخلتُ إلى كورمول هوستبال تحولتُ إلى رقم . لوضاع منّى ، لوقعت سكرتيرةُ الطبيب « روجر وليامز » في بِركَةٍ من القلق والحيرة .

مازال فى يدى سوارٌ من البلاستيك لا ينقطع إلاَّ بفعل آلةٍ حادَّة ، مكتوبٌ بداخله اسمي ورقمي ، وعلى الرغم من خروجي من المستشفىٰ إلاَّ أننى لم أنزعه ، وتركته للذكرى . ربَّما ذكرى الموت ، أو رائحة الرحيل . سوارٌ مثيرٌ . ولافتٌ . يشدُّنى للداخل فى الليل . ويحاورنى . ويخرجُ رقمى يمشي بصحبتى عندما تنامُ الشوارعُ ويصحو الحنينُ ، وتسمقُ الجراحُ التى لم تلتئم . الجُرح الذى انفتحت بوابته في مواضع شتّى مراتٍ أربع لا يطيب إلاَّ بعد أشهرٍ خمسة وأحياناً أكثر .

تكررت عيِّنةُ الكبد . وتشابه الجُرح ، وَقَتَلَتْ الغربةُ قُوّتى .

وصارت الوحدة دينى .

الكلُّ هنا . ولا أحد ! .

قلتُ له من أنْتَ ؟قال : أنا أحمد الشهاوي .

أرجوك لاتمزحْ . المصيبةُ أعظمُ . وللرحيل جلالٌ . دعنى وما أنا فيه .

قال : أنا (٣٧٧٧٩٠١٠٠ـ ٢٠ ـ ٢٠) .

أنت رقمي . قال : كلا . أنا أنت . فلا تُضيِّعني في دروب المدينة .

كلانا تائهٌ ووحيدٌ .

والبُعد يطوي المسافات والبحارَ والقرىٰ . والوطنُ في الدمِ لا تسلِبُهُ الممرضاتُ عندما يجين حينُ سَحْبِ الدَّمِ في زجاجاتٍ عديدةٍ من أجل العيِّنات . كأنَّكَ مدينةٌ تمنحُ العابرين الخُبزَ .

ـ مازلتَ غريباً ، لكَ لُغتُكَ . وأنتَ احتللتني . سأقاومُ استعمارَكَ قررتُ ألاَّ أموتَ .

وألاَّ أَصِيرَكَ .

لتبحثَ عن آخر . حللتَ خطأً . في زمنٍ خطأ مع شخصٍ لا يعرف الحِساب والأرقام □

٢٨ يوليو ١٩٩٢

أنا في غربتين

وحدي وغيابُها !

أحوال العاشق

أحمد الشهاوى

على بُعدِ أقدامٍ من الحُزنِ كنتُ.

السماءُ غَضبى ، لا شمسُها تطلعُ

وتبتسمُ للغرباءِ ، ولا سماؤها تبكي مطراً رمادياً . الكونُ ساكنٌ وأنا دمٌ يجري في الشوارعِ بحاراً ، الآنَ لا أحدَ معي ، سوى رقم ، ينامُ في سرير قلبى ، ويمشي بقدميّ ، ويلفُّ معصمَ يدي اليمنىٰ ، وكثيراً ما يخرجُ من يدي ليبوحَ بأسرارِه للمدينةِ البائسةِ التى - أحيانا - ما يتبدَّل وجهُها لي .

سَافَرَتْ اليومَ وصرتُ وحدي .

تريدُ أنْ أُبَلِّغَهَا بلقائي مع الطبيب .

قبل ساعاتٍ كنتُ أطوى كتاباً لابن قيم الجوزية عن الغربة . لا أدرى ما السببُ الذى جعلنى أحمل هذا الكتاب معي . حاولتُ أن أقرأه وأنا فى الطائرة . لم أستطعْ . أَجَّلْتُ

«الغُربة» للغُربة ، بعدما دخَلَتْ روحي غريبةً فى بلادٍ غريبة . تذكَّرتُ حديثَ الرسول « أنا بيتُ الغربةِ وأنا بيتُ الوحدة » .

قدماى تعرفان الأرضَ ، وتألفان الشوارعَ ، والقلبُ يصيرُ دربا للكونِ، أنا فى تيهٍ لا حدودَ له ، تاهت الخرائطُ ، واختفى البشرُ أو جذبتهم الأرضُ إلى رحمها . النفسُ تحملُ ما تتوقُ إليه . الغريب يحنُّ للغربةِ ، يمضي وحيداً ، يُكلِّمُ نفسَهُ ، يهوى امرأةً فى البعيد ، يتذكَّرُ أشياءً شجنيةً . تتواترُ أمام عين قلبِهِ فصولٌ ، وتواريخُ ، ورؤىً .

من شارعٍ ضيقٍ مهجورٍ يربطُ ما بين شارعينِ رئيسيين ، كنتُ وحدى. قرأتُ أسماءَ حوانيتَ مكتوبةً باللغة العربية ، ولمحتُ على بعد أمتارٍ صحفاً عربيةً وفارسيةً ، فقط مَرَّتْ عيناى على العناوين الكبيرة . مجردِ فضول شدّني . أنا الآنَ في عالمٍ آخر . أبصُّ فى الأرضِ علَّنى أجدُني . قرأتُ في صفحةِ الأسفلتِ . وأنا ماشٍ على الرصيف الأيسر «مَامَاتَ مؤمنٌ فى غُربةٍ إلَّا بَكَتْ عليه السماءُ والأرضُ » .

الذاكرةُ يُصيبُها وهنٌ في الغُربةِ . النسيانُ يسكنُ رأسي .

لماذا أتذكَّر ما يجعلُ القلبَ في شجنٍ ، والروحَ فى أسى ، والنفسَ فى كَرْبٍ .

هل لغيابها ، فَاضَتْ الغُربَةُ فى دمي .

أنا في غُربتين . وحدي وغيابُها .

«فليس غريبا من تَناءَتْ ديارُهُ . ولكنَّ من تَنْأَيْنَ عنهُ غريبُ » .

مُذ عرفتُها . تبدّلت الأحوالُ ، قَرُبَت المسافاتُ وتناءَتْ ، دَنَا الكونُ مني حتّى ملكتُهُ ، جَرَت الحروفُ في لسانِ القلب ، وانفرجت شدائدُ ، وَحَلَّت غمامات في بيتي . ونام الليلُ في سريري . صرتُ عارفاً .

وَغُربةُ العارفِ غُربةُ الغُربةِ .

ومنازِلي وديارِي تُطوىٰ ، وأنا قاعدٌ غريبٌ .

عبرتُ الشارعَ الضيّقَ . انتظرتُ حَتَّى يتوقَّفَ جرادُ السيارات القادمُ من شمال المدينة . المستشفى أمامي . ميعادى . العاشرة وعشرون دقيقة . لا تزال هناك أمامي دقائقُ معدوداتٌ ، كان بائعُ الوردِ علامةَ طقسِ الزيارة ، منذ سنواتٍ وهو قابعٌ هنا . تغيّرت الأسرَّةُ ، وتبدَّل المرضىٰ ، وَغَادَرَ مَن أدركتهمُ الصحةُ بعد اعتلالٍ ، وهو هو ، رماديٌّ ، وَمُبْتَسِمٌ ، يقدِّمُ الوردَ لمن سيعودون مريضاً .

ما أن دخلتُ الفِناءَ الواسعَ . حتّى جاءني عبد الحليم حافظ يصرخُ باكياً « يا ولدى قدَماتَ شهيداً من مَاتَ فِداءً للمحبوب » . كان عبد الحليم يتردَّدُ على مستشفيين : كنجز كوليدج ، وكورمول ، وبينهما كان يلتقي روجر وليامز . نفسُ الأمكنةِ . نفسُ الأسرَّةِ . . نفسُ الطبيبِ ، وربَّما نَفْسُ بائع الوردِ . لا شيءَ تغيَّر . فقط الموتُ حلَّ وأقامَ وصارَ صديقاً للغُرباء .

الفِنَاءُ يؤدي إلىٰ قاعاتٍ صغيرةٍ متناثرةٍ فى المساحةِ المرشوشةِ بالوردِ والزرع الغريبِ . أخطِفُ فى ثانيةٍ كلَّ الوجوهِ . نساءٌ يلبسْن السوادَ

يُسدِلْن على أعينهنَّ ووجوهنَّ ستاراً من ليلٍ . ما تحتَ الليل ليلٌ تَطْلُعُ فيه أقمارٌ عربيةٌ تُذبحُ في الأفقِ ، وتُسبي الأحرارَ ، تُصيِّرهُم عبيداً للهوىٰ .

مِنْ كُلِّ أرضٍ جَاءَ بشرٌ . لكنَّنى أسمعُ لهجاتٍ عربيةً شتَّى . مرضى دول الخليج ، يترددون كثيراً على هذا المستشفى ، له سمعة عالمية ، وذائعٌ ، ومرتفعُ التكلفة ، يليقُ بالأثرياء ، لا مكانَ هنا للفقراء . حتَّى المرض لا يقدِرُ عليهِ فقيرٌ .

شارع كورمول الذى يقع فيه المستشفى . . فنادقُهُ محجوزةٌ لأُسرٍ وعائلاتٍ خليجيةٍ جاءت للاطمئنان على مرضاها .

صعدتُ للطابق الثالث ، هنا قسم الكبد . أغلب السكرتيرات والممرضات يعرفننى من كثرة ترددي ومجيئى . وقد أوصاهنَّ مساعدُ روجر وليامز ـ وهوطبيبٌ يونانيٌّ اسمُهُ كوسكينوس ـ أن يهتممن بى . شاب فى أواخر الثلاثينيات من عُمرهِ . يعرفُ كثيراً عن الشعر اليوناني ، حدَّثنى عن شاعر الاسكندرية كفافي .

باح لى بسرِّهِ : قلبُهُ مسجونٌ فى قلاع الإسكندرية القديمة ، حيث حبيبته تسكنُ وتعيشُ ، وترفضُ الانتقالَ والعيشَ هنا . قالت إنَّها تكرهُ هذه المدينة ، ترفضُها ، ينقبضُ قلبُها ولا ينبسطُ أبداً إلاَّ إذا غَادَرَتْها .

قلتُ للسكرتيرة : أنا هنا . لم تكنْ جميلة ولا يبدو أنَّها كانت فى يوم ما ربَّما أكونُ مخطئاً ، فحالي متبدِّلٌ الآنَ . ولكنِّى دوماً أقرأ الجمالَ حتَّى ولو

كنتُ في نارٍ موقَدَة . كانت تحادِثُ فتاةً فى الثلاثين من عمرها ، لا أدري من أين . قالت : دقائق والطبيبُ سيستقبلك .

عدتُ إلى المقعد حادثتُ صديقى « نوري الجرّاح » الذى جاء يطمئنُ على النتائج .

سألتنا الفتاة بعربيةٍ واضحة : من أين ؟

قلتُ : من مصر . وقال صديقى : من سوريا ، ولكنّى أعيشُ هنا .

من فيكما المريضُ ؟ قلتُ : أنَا . ولِمَ تسألين ؟ قالت : لأنّى مثلك . ماذا لديك ؟ قلتُ إنّه الفيروس (س) الذى هاجم كبدي ولم يقلْ لى أو يستأذننى ، كان يمكنُ لنا أن نتفاوضَ ، كنتُ سأعوِّضُهُ كثيراً ، لكن على كلِّ حالٍ هو الخاسر ، ماذا سيأخذُ الآن . كبدى . لا شيءَ ـ في الدنيا ـ يَهُمُّ .

ومن أنتِ . أنا كويتيةٌ . نَفْسُ الشىء حَدَثَ لي ، ولكنَّ حالتى متقدمة . والوضعُ يسوءُ ، منذ عام ألف وتسعمائة وسبعة وسبعين ميلادية . والعراكُ دائرٌ ومشتعلٌ . ولا جديد . الأفقُ يضيقُ . والأرضُ بحجم كفّى ، وبحاري لا مَاءَ فيها ، ومَنْ حولي في ضيقٍ ، أنتظرُ شدَّةَ تنفرجُ ، والمسافاتُ تبعدُ . وأخشىٰ أن يموت روجر وليامز قبلي ، فأنْتَ ـ كما تَعرفُهُ ـ تَقَدَّمَ في العُمر . لقد تَعَوَّدتُهُ ، ولا أرغب في تغيير الطبيب . صحيح أنّه عملى جداً ، وليس لديه وقتٌ ، إلاَّ أنه يظلُّ شيخاً للكبد ، وعارفاً أحواله ، وقارئاً مقاماته ، ودارساً قُرَاه ومدائنه ، وسالكاً دروبه .

يداها ، لا تشيُر إلى أنَّها متزوجة أو مخطوبة . هل أدركتها العنوسة . لا . هي جذَّابة . وتدرسُ العلوم السياسية .

هَلْ أغلقت باب قلبها على حزنها . وصعدت لتتزوَّجَ سماءً هاربةً من نَجْمَةٍ شَاكَسَتْهَا .

ربّما تنتظرُ إنسيًّا قادماً فى الأُفقِ . يكشفُ عن طُعمٍ لذلك اللعين الذى هاجمها ، لا شيءَ مستحيل أو فوق الاحتمال .

هى لا تعرفُ أنَّ سرطان الكبد . سيأتيها . وأنه قادمٌ فحالتها كما قالت متقدمة مرضيًّا .

قالت السكرتيرةُ . استعدَّ . بعد ثوانٍ . الطبيب سيلقاك .

ودّعتُ الفتاةَ . سألتُ البحرَ أن يَأْخُذَها ، وأن تمطرَ الغيمات ورداً لها أينما حَلَّت .

لا أعرفُ لحظتذاك . لماذا اهتممتُ وأصابنى كربٌ عظيمٌ . « لماذا لا تكونين معي الآن » . خاطبتُ من سَافَرَتْ . صحيحٌ أنَّ صديقي «نوري» معي وأحبُّهُ كثيراً وأأنسُ له منذ زمانٍ مضىٰ . ولكنّى أحتاجُها .

لابد أن ألتمس لها العُذرَ . ألم ترها ـ قلت في نفسي ـ وهى تُفرِّقُ زحامَ صالةِ القطار بأنهار دموعِ قلبها . تذكَّرتُ شيئاً دسَّتْهُ لى هذا الصباح وأنا أفارِقُها .

رسالة

أخرجتُ رسالةً كتبتها بحبرٍ أزرق على ورقٍ أزرقَ صافٍ شفَّافٍ كسماءٍ نفسها :

« أحتاجُ صدرَكَ ، أحتاجُ أن تحتَضِننَى بقوّة ، وبحاجةٍ لأنْ أبكي على كتفِكَ طويلاً .

الآن مُضطربةٌ ومُتْعَبَةٌ . وأريدُ أن أبتعدَ لئلا أجرحَ أو أُغضِبَ أحداً بكلمةٍ أو بتصرفٍ أحمق » .

٤ أغسطس ١٩٩٢

عموم كوني
يهوى
حُسْنَهَا

أحوال العاشــق

أحمد الشهاوى

فرّغتُ قلبي من التعلّق
بشيءٍ سوى محبتها .
الكونُ يبدأ من شجرِ
عينيها ،

ولا ينتهي عند حدودِ حِضْنِها ، ويمتدُّ إلى سماءِ شفتيها اللتين أورقتا تيناً وزيتوناً وحدائقَ غُلْبًا .

البقاءُ لَهَا . ولوطنٍ ينامُ في يديها يسع الغرباءَ .

كثيراً ما أختصرُ عالمَ حياتي البعيد في ثوانٍ . أو أستعيدُ ذكرى عمرها ألف سنةٍ في ربع الدقيقة ، لديَّ قدرةٌ غريبةٌ على التركيز والإبحار والاسترجاع والمرور من الشرق إلى الغرب في لمحةٍ . ربّما أكونُ مُؤَهَلاً لمعارجَ آتيةٍ لا ريبَ فيها ، أصعدُ لأبحثَ عن أثرٍ لقدمٍ صغيرةٍ لا مرأةٍ وطفلةٍ صارتا كائناً واحداً متحداً لم يَرَه بشرٌ من قبل .

بحري بلا ساحلٍ .

والشواطىءُ لديها كثيرةٌ . ومُمْتَدَّةٌ . ويمكنُ لي أنْ أنام تحت ظلالِ شعرها ، أبدأ تاريخي ، وأعيدُ ترتيبَ ممالكي ، وأكتبُ بداية الخلقِ من تحتِ أقدامنا .

العشقُ يبدأ من ضربة سهم في ثانية .

والفِراقُ لا يحتاجُ إلىٰ أدلّة .

والمسافاتُ في القلوبِ ، وليَست في الأرضِ .

عمومُ كوني يهوىٰ حُسْنَهَا .

والقلوبُ تتقَلّبُ مع اشتعالِ أعوادِ الثقابِ وانطفائِها .

والذي يُشعلُ الرُّوحَ ، يُطفِئهَا .

الآنَ وَصَلَ قطارُها إلىٰ المحطة الأخيرةِ واستراحَ تحتَ سماءٍ باكيةٍ مُنتَظِراً قياماً آخر . بين القيامِ والوصولِ تضيعُ نفوسٌ . وتسقطُ ذكرياتٌ مع غُبَار السفر .

هل ارتاحت كقطارها . ماذا يحملُ رأسُها الآنَ .

مُنشغلةٌ ـ ربّما بى ـ هل تخلعُ مِعْطَفَها وتنامُ . أم تخلعُ هَمّى ووجعي قبل المثول في حضرة سخونَةِ الماء .

ثوانٍ وأدخلُ .

هذه المرّة خائفٌ ومتوترٌ ويأكلُنى قلقي . أريدُ أن تكونَ الأخيرة أو هكذا أُمَنّى نفسي طوال الأيام الماضية .

حقيقيٌّ . تغيرت الأشياءُ عندي لفَقْدِها .

قالت إنّها ستأتي . لكنّى دوماً أخافُ الكلام . وأثقُ بالفِعْل . أنا ما صدّقتُ أنّى لِقيتُها . غابت آلاف السنوات . وتاهت . وسافرت ، وانمحتْ وَطَلَعتْ ، وَوَصلتْ ، وعَلَتْ ، وسَقَطَتْ و. . التقينا .

ثوانٍ وأدخلُ .

أستعيدُ كلَّ الذي مَضَىٰ . شمساً نامت فى سريري ، وقمراً انكسر نورُهُ واختنقَ وخرجنا صغاراً ؛ نُغنّي له : « يا قمر يا مخنوق اطلع وخلّيك ذوق . الموت صديق عمركْ والحبّ على صدركْ فَانْزِل لنا من فوق» ، وقميصاً أسود اخترتُهُ وأنا تلميذٌ في الإعدادية لم ألبسه إلاَّ فى جناز أبى . وامرأةً لا أبكي عليها ؛ أتذكرُها أحياناً ، ولا أكرهُها ، فقط تقتلُنى خيانتُها . ومدرساً للغة العربية سقطتْ فوق رأسه مئذنةُ المسجد فقتلته ، كان يتأهب لصلاة الجمعة ، وأنا لم أكن قد ذهبتُ بعد لأراه ، كان صديقى ، لكنّه سبقنى في الرحلة . وامرأةً من الأساطير التقيتُها في سان فرانسيسكو ماتزال رائحتها في قلبي تنبضُ ، وإذاعةً تأتينى عبر البحر بالأغنيات العربية التى أحبُّ من مالطة .

ثوانٍ وأدخلُ

والذاكرة مشتعلةٌ . كأنَّه الموتُ آتٍ بعد ثوان . لماذا أخشىٰ قراراً سأعرفُه بعد ثوان . العُمرُ واحدٌ ـ وأيضا ـ الربُّ واحدٌ .

والتي يعشقها القلبُ واحدةٌ .

أخرجتُ ورقةً كتبتُ هذياني وانتفاضَ كوني ، سلمتُها لنوري الجرَّاح الذى كان يجلسُ قريباً من مكتب السكرتيرة وبجواره حقيبتى البُنِّية منشغلاً باللّعب في ذقنه التى نبتتْ مُنذ خمس ليالٍ ، لم يحلقها رغم توصيات زوجته .

قرأتُ سريعاً ما كتبتُ :

على بُعدِ فرسخٍ من دمي
أرى دولاً تجيءُ وتذهبُ
فَسمَّى رحيلى ثورةً
وَسمَّى جنونيَ كشفاً ليسَ يَغْرُبُ
كلُّ الذي جاءنى الآنَ راحلٌ
وكلُّ الذي في الروحِ يصفو وينقلبُ
أنا واحدٌ في السرِّ يبقىٰ
وما دونَ بحري ومنفايَ ينسربُ
خُذْ دولتي واحكُمْ ساعةَ الفَتْحِ ؛
فساعةُ الموتِ مملكتي
تؤوبُ إلىٰ سمايَ ؛
وتَقْتَرِبُ .

وَصَلَتْ إلى مدينة « برّ العشق » . وإلى أين سأصلُ . أحسُّ أنَّه لا وصول لي . أصدِّقُ قلبي .

دخلتُ . غرفةٌ صغيرةٌ بجوار المصعد المؤدى إلى قسم الكبد فى المستشفى ، حَيَّيْتُ روجر وليامز ، دَخَلَ بعدي مباشرةً مساعدُهُ الطبيب اليوناني كوسكينوس . قال في حسمٍ : ستتوقَّف عن حُقَن الانترفيرون

لستةِ أشهرٍ قادمةٍ . وسنرى . الموقفُ ثابتٌ . التقاريرُ لا تُطَمْئِنُ، تَحَسُّنٌ قليلٌ جداً . ما أخذتَهُ من حُقَنٍ تُدمِّر جبالاً ـ وليست فيروسات لا تراها العينُ المجرَّدةُ ـ ومع ذلك لا شيءَ .

الكلام كان لى ولمساعده وجهازٍ صغير لم أنتبه إليه فى البداية

أنه كاسيت . عَرفتُ بعد ذلك أنَّ السكرتيرة ستعيدُ تلك الكلمات المنطوقة إلى لغة مكتوبة ، ستُسمَّى فيما بعد بالتقرير الطبى الذى يُوقِّعهُ الطبيب المعالج بإمضائه .

قد نضطرُّ إلى معاودة العلاج بالانترفيرون مرةً ثانيةً .

وَهَن الجَسَدُ ، وسَقَطَتْ الروحُ في حذائي . قلتُ لروجر : هل يستطيع جسدي بعد ما تَلَقَّى مئةً وسبعين حُقنةً أن يُعاودَ الحقْنَ والتلقِّى، أَنَا أكرهُ الساعةَ الثامنةَ مساءً موعد استعدادي لحقن نفسي ثلاث مرات كل أسبوع ، أنتَ لا تدري أن الحقنةَ الأخيرةَ لم أقربها حتَّى الآنَ وما تزالُ قابعةً فى أحد أدراج ثلاجة البيت . انقفلت النفسُ ، ولم أعُد أستطيع تحمُّل « إبر المحبةِ التي قوَّضت جسدي » أنتَ عارفٌ آثارها الجانبية . هل أشرحُ لك حالى ، وما يحدثُ لى بعد انتهائي من الحقْن .

قال : الأعراض تختلفُ من مريض لآخر . وأنتَ قرَّرْتَ ألاَّ تموت ، لأنَّك شجَرٌ صحراويٌّ لا يموت ، وطائرٌ أسطوريٌّ يعبر الماءَ ، ولا ينامُ ويحكى للسماوات سيرتَهُ .

ومع ذلك يا روجر أرى الموت ثلاث مرات أسبوعياً عقب كل حقنة ،

ابحث لى عن علاج آخر . فالانترفيرون مُكْتَشَفٌ منذ عام ١٩٥٧ . ومن المؤكد أنَّ هناك علاجاً جديداً ، يكون تأثيره الجانبى أقلّ .

فقال : هذا هو أنجع علاج .

خرجتُ

أعطتنى السكرتيرةُ موعداً لتسلّم التقرير الطبّي . كُنّا يوم ٢١ فبراير ١٩٩٢ . سيكون هذا هو ثالث تقرير أحصلُ عليه من كورمول هوسبتال . تقاريرى تتراوحُ صفحاتُها دائماً بين أربع وست صفحات ، تكون شرحاً لحالى الجسدى .

أنَا الآنَ أحتاجُ لمن يشرحُ لي حال عِشقى . وَيُخبرُنى عن التي وَصَلَتْ إلى « بر العشق » ولن ألقاها إلاّ يوم ٥ مارس .

فقدُها أحرقَ كبدي . وخلاَّني في جنونِ الأسئلة أمشي □

١١ أغسطس ١٩٩٢

أنتِ سماءٌ
زُيِّنت
بمصابيحى

كلّما تحرّكْتُ ،
تحرّكَتْ الموجوداتُ
معي . تدورُ فتنجذبُ ،
ينفضُ الكونُ

كَسلَهُ ويتبعُني فى حركةٍ دائريةٍ ، تصفو النفسُ تصيرُ ماءً ، وتأتي التي في البعيدِ ، تخلعُ غُربتَها ، تدخلُ سماءَ حِضني ترشُّ ماءَ وَرْدِها ، وتزرعُ زعفرانَها في جراحي ، تقترب أكثر فَيَسْهَرُ الكونُ وننامُ ، يدى اليُمنى تنامُ أعلى سموق كتفها الأيمن ويدى اليسرى تسألُ صدرها الدخولَ والامتلاءَ والتلاشي ، رأسُها يرتاحُ فى جنّةِ صدري ، ويداها ترسمان صفصافة تتحركُ أفرعُهَا على نهر بحري .

ينامُ الكونُ نشوانَ . فنصحو .

فتسألنى : لمَ لا تسافرُ ، فأقول : حبيبى لا يسافرُ وأنا معه مقيمٌ ما رأيتُ شيئاً إلاّ ورأيتُكِ بعدَهُ . ما رأيتُ شيئاً إلاّ ورأيتُكِ معهُ ، ما رأيتُ شيئاً إلاّ ورأيتُكِ فيه .

قالت .. أيامُكَ معدوداتٌ . وتموت . لمَ

تتركني ـ هنا ـ وحدي ، وأنا بكَ ولكَ ومعكَ وفيكَ وإليكَ وتحتكَ وفوقكَ . . . قلتُ : بالموت تنقلبُ المألوفاتُ وتتغيرُ المعقولاتُ ويدركُ الإنسانُ أنه كان في حُلم .

ما بيننا حُلمٌ . الأرضُ تسرقُنا ، وروحُنا مشدودةٌ إلىٰ نَجمةٍ لا تنامُ أبداً ، وماؤنا يجري ، لا ينضبُ ولا يجفُّ . نعيشُ الحُلمَ متى طالَ ، ومتى قَصُر .

نورُكِ دليلٌ على شهادتي .

والليلُ لباسٌ ، وأنتِ ليلي ولباسي .

والسكوتُ موتٌ ، وأنت موتي الذي أحيا به .

فى اتحادنا مكاشفةٌ ، وفي انمحائنا صعودٌ .

لم تقولي أبداً : أنا أعطيتُ . ولم أقل أبداً : أنَا أخذتُ . ففي عطائِكِ منحٌ قلبيٌّ لا يَفْنَىٰ . وفي أخذي منحٌ سماويٌّ وعطاءٌ بحجم معراجي . ووصولي إلىٰ شمسكِ ، واحتراقي . إذا ما عَرفْتِني عَرَفْتِ نَفْسَكِ .

ففى معرفتي وقوفٌ على تجلّياتي ، حيثُ لا شبيه بى ، ولا مثيل .

أنا فَرَدٌ فريدٌ فيه وجعَ الدُّنيا وفجائعُها .

أنا قُطبُ حَالِكِ .

نفوسُنا تزوجت . . ولا فِراق . لا اللقاءُ يُسكِنُ شوقَنَا . دوماً فى انجذاب .

أنتِ سماءٌ زُينت بمصابيحي ، وجُعِلَتْ رجوماً لشياطين النأى والافتراق

يقفُ الموتُ بالباب

مشقةٌ والتذاذٌ أن تحملَ عشقاً أينما وليتَ وجهَكَ .

لم أعدْ الآنَ أفكِّر في حالى منفرداً ، في قلبى جنينٌ مكتملٌ ، الموتُ يُهَدِّدُهُ، تقلعُ ريحهُ أشجارَهُ الباسقة ، بين موتِ شمسٍ واختناقِ قمرٍ قد يضيءُ رماداً تُذَرّيه الرياحُ في البلادِ والبحارِ البعيدةِ ، أعرفُ أنَّه سيلملمُ ذراتِهُ ، ويزرعُ في عيونِ جراحِهِ ملحاً ، ويُبعثُ ، قد تطولُ السنونُ لكنَّه سيأتي ناهضاً ، يجيئني - والليل ينامُ على جنبِهِ الأيسر يحلمُ بألاَّ يطلعُ صُبحٌ أن تصحو شمسٌ من المياهِ البعيدةِ - يدقُّ مقبرتي فأخرجُ مكتملاً أسيرُ في إزارٍ أبيض حريريٍّ نحوه ، يتحدُ نورانا وننجذبُ ونطيرُ إلى سماءِ بلادنا ، نحيا عالمنا ، ونَنْسىٰ الخلقَ .

خلعت ملابسها . ولم تنم .

خرجتُ من المستشفى أفكِّر في الانترفيرون وغيابها .

أعرف أن الانترفيرون ليس ترياقاً يشفى كل أنواع العدوى الفيروسية أو السرطان فى الإنسان، ولا وجه لاستعماله في الوقت الحاضر إلاّ في تجارب إكلينيكية مقارنة على نحو دقيق . وإذا حُقن عشرةُ أشخاصٍ بالانترفيرون لا يشفى إلاَّ اثنان أوثلاثة .

ربما أكونُ منهم . . وربّما لا .

لكنَّها ترياقي ، وبها أشفى . وأصعدُ إلى سماواتها .

مازلتُ أجهلُ الكثير عن دور هذا البروتين المعروف بالانترفيرون فى الجسم وقيمته في الطب البشري .

لكننى شاربُ قهوةَ معرفتها ، عارِفُها ، بصوتها يتغيرُ دمي ، عندما تقرأ عيناى حروفَها القلبية يتقلّبُ قلبى فى نار اشتياقها ، أتألمُ ، أروح إلى البعيدِ ، تصيرُ كلُّ تفاصيلنا حاضرةً ، وأُقبّلُ عينيها .

للشوارع أعطيتُ وجهي . ولها سلَّمتُ روحي .

وللورقِ أعطتْ قَلْبَها ودموعَها وقلقَها عليَّ :

« أحمد

حُبّى

أنتظرُك بشغف

أريدُ أن أروي عطشي بكَ

جائعة بمرارة ،

للحظات نسرقُها ، نلتحمُ ونتّحدُ

بنسيجها ، لنضيىء » .

حبرٌ أزرق يتساقطُ من سمائها ، كتبتُ به . وورقٌ سماويٌّ كروحها شرِبَ حبرَ قلبها .

سارت إلى حديقة وردها ، وصارت وردةً تخلقُ وَرْدَاً ، قطعت اثنتين :

لها ولي ، جَفَّفْتُها بصهدِ نارِ عشقِها ، وتأجُّج ثورتها . وشمس شفتيها، ووضعتها مع الرسالة. نام الوردُ والحبرُ ، اتحدا ، تكسَّر الوردُ تحت سطوةِ الحبر ، وشدّة صعودِ حُبِّه وما يحمله من رسالةٍ كونية ، إليها يرجعُ المصيرُ فَصَارَ الحبر ورداً ، له عبق رائحتها .

أخرجتُ وردَهَا . شمَمْتُهُ وَبُستُه ، وفي فمي شربتُهُ، ارتويتُ ، ولم أنم كطفلٍ ، ظللتُ مشدوهًا منذ سنين بعيدةٍ ، لا يدركُني نومٌ ، أخشىٰ أن تغيب لحظةً عني وأنا نائمٌ .

متىٰ أصلُ وَرْدَهَا بوردي . وأنهلُ من وِرْدِها .

إليها كلُّ شيء ، وفي يدها مفاتيحُ أموري .

أنا أدخلُ في لحمِ الشوارعِ وحدي ، وهي ـ وحدها ـ في مدينة « برّ العشق » تكتبُ أشواقها وتبكي غيابي، وتسألُ نَفْسَهَا عن حالي .

« أحمد ، حبيبي الغالي

منذ عودتي وأنا في حالة هروب منك ، ومن حبّي لكَ . لم أخطّط لهذا الهروب ، لكنّي كنتُ على وعيي به ، منذ صباح اليوم الأخير . كنتَ جمرةً متقدةً في جوفي وكنتُ أحترقُ بكَ .

كان هناك تساؤلٌ واحدٌ حادٌ وقاطعٌ :

ماذا سأفعلُ بكَ . وبحبكَ ؟

ماذا سأفعلُ الآن وقلبي وعقلي وروحي في ديارِكَ ، وقد عدتُ جسداً مجرَّدًا ، هيكلاً شاحباً خاوي الجوف ؟

كنتُ مشتعلةً بحبكَ ، مدركةً عن يقينٍ ماذا أنتَ بالنسبة لى ، لكن في وسط هذا النور القاطع والواضح ، كانت الأشباحُ تتراءى لي ، وتؤرقنى . حُبى لكَ لم يتغير ولم يتحركْ ذرّة أو ينقص ، لكنّه حبٌّ مشوبٌ بالقلق والحزن والفراق ، حاولت كثيراً التمسكَ بيقينى بذاتى وبكَ ، وبإيمانكَ بى ، والعلوّ على كل هذا ، ولعلي نجحتُ حتّى سقطتى الأخيرة . شعرتُ بعدها أنّى قد أجرحُكَ بكلمة أو بتصرّف ما ، لذلك آثرتُ الابتعاد .

هروبى منك ، ومن حبكَ لم يكن بمعنى تجاهلك أو نفيك ، لكنّه تأجيل لا شعوري لمسألة بحث الأمر مع نفسي ، مما جعل رسائلي باردة ، ومكالماتي كذلك .

أريدُكَ أن تعرف كلَّ الظروف وأريد أن أعرفَ كيف سيكون طريقنا الآن . وماذا ستفعل . لأنّى لا أستطيع أنى أعيش بدونكَ . لا أستطيع».

٢٥ فبراير ١٩٩٢

بكت السماءُ لِفَقْدِهَا .

مدينة « برُّ العشق » ليست تنأىٰ . لكنَّ وجودَهَا فى سماواتِ المدينةِ يحرقُنى . فهى ساريةٌ في التفاصيل والأنسجة ، والقربُ من المحبوب عُلُوٌّ، وَفَقْدُهُ انفضاضُ الدنيا من قلبِ الحبيبِ وسياحتُهُ في الديار . فقلوب أهل المحبّة محترقةبنار المحبّة .

نارُ الغياب . غيابُها . ونار الانتظار . انتظار التقرير الطبى . هل سيكون التقرير الثالث هو آخر المطاف . ولا آتي إلى هذه المدينةِ الواسعةِ، في كلِّ مرةٍ أحلمُ ، وأتمنى ، وأكتبُ عوالمَ شتّى على ورق روحي الأبيض .

الوقت شتاءٌ . وأنا فى أول الصباح . أمدّدُ الوقتَ في المساء على أسفلت ذاكرتي ، أستعيدُ البعيدَ والقريبَ ، الأمكنة خصوصاً ، مرتبطٌ أنا بالمكان ، ما من أرضٍ نزلتُها إلاَّ ولى فيها خيمةٌ وذكرىٰ ، فى المكان أتحقّقُ ، وأصيرُ أنا ، وتحلّقُ روحي في سمائِهِ ، وأكلّمُ النفسَ بما أسرُّهُ ولا يعرفُهُ سواى . دائما للإنسان أسرارٌ لا يكشفُها لغيره . هناك مساحة ما في القلب لا تتعرّى حتى لأقرب الأقربين .

عبرتُ الطريقَ إلى المستشفىٰ .

وحيداً كنتُ إلاَّ من حضورها في الروح ، أركضُ في ميادين محبّتها ، عارفةً نفسى بروحها ، أمشي على شاطىء نهر القلق ، أنا الغريبُ أكلّمُ الأرضَ الغريبةَ ، لا الروحُ تسمعنى ولا الطيورُ التى فوق رأسى تعرفُ من أنا ، ومن أى ديار جئتُ ، هل سيكون هناك تقريرٌ رابع وخامس وسا . . . .

كان الشوقُ مطيتى وأنا ذاهبٌ . أريدُ أن أعرفَ ؛ فالمعرفة أكلي وشربى . عرفتُ حبيبتى باتصال معرفةِ حبِّ الحبيب . فاللّه خلق الأرواح قبل الأجسادِ بألفى عام ، ثم أدارها حول العرش » فما تعارف

منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » فعَرَفَتْ روحي روحَهَا فى ذلك الجَوَلاَن حول عرش الرحمن .

أنتِ عرشي ومعرفتي ويقيني الذى لا يَنْقُص .

ركبتُ المصعَد إلى وحدة الكبد .

الخوفُ يمرضُنى ، والشوقُ يَحرِقُنى ، والحبُّ يُوقظُنى ، والحقُّ يحيينى .

التقيت سكرتيرة روجر وليامز . رَحَّبَتْ . وفى صمتٍ سلَّمتنى التقرير . موعدنا بعد ستة أشهرٍ ، سينتظرُكَ الطبيبُ .

كان الشارعُ ينتظرُنى . أعطيتُ نفسى له . الحبُّ يُنطقُنى والخوفُ يُقلقنى ، لاأَحدَ يؤنسُ وحدتي سوى الطريق ، وهواءِ الغربةِ ، ومطر اللَّهِ القادم من ديارهِ ، فالأُنسُ هو انبساطُ الإلفِ إلى المألوفِ ، وإلفي بعيدٌ فى « بر العشق » ، منشغلٌ بى ، وبالتصاوير ، والبوم ، وتعطير الحشائش ، وسقاية الثمار التى نضجت وتنتظرُ قِطا فى .

غبطتى فى سفريِ إليها والتقائها .

ماتزالُ هناك أيامٌ حتى تتوحَّدُ السماوات .

وتأتى البعيدة . ويحتلُّ شَعْرُهَا مساحة عينيّ .

حلَّ الليلُ .

وليلُ الغُربةِ عندي موتٌ . والقلبُ عليلٌ ، والأحزانُ تجولُ ، والأسقام تتوالى ، وليس للقلب مع ما يجولُ من الأسقام دواءٌ سواها .

كان التقريرُ ما يزال نائماً في يدي ، صاحياً يُقلقُنى ، وضعتُهُ فى حقيبتى التي لا تفارقني في السفر ، حفظتُ ما فيه ، صرتُ عارفاً بأحوالي أناقشُ الأطباءَ فى الدقائق والتفاصيل « اسأل مجرّبًا ولا تسأل طبيباً » . . وأنا لستُ مجرّباً فقط بل خبيرٌ فى شئوني .

قررتُ ألاَّ أكُلِّم أحداً . ما في التقرير يخصُّنى أنا وحدي ، وأنا أسعى دوماً إلى المعرفة ، والناسُ تسأل لتعرفَ ؛ لتطفىءَ شهوةَ السؤال ، لا لتطمئن .

ومن تريد أن تطمئن ليست هنا .

فلن أكلِّم أحداً إلاَّ بعد أربعين يوماً . فيوم غيابها بعشرةِ أيام .

٥ مارس ١٩٩٢

سأقرأ شعري ، مختارات من الأسفار الثلاثة من كتابى « الأحاديث» .
تلك هى المرة الأولى التى أقرأ شعري فى هذه المدينة ، كنتُ عائداً بعد ثلاثة أشهر من الغياب ،فى الولايات المتحدة الأمريكية ، قرأتُ فيها السِّفْر الأول بالعربية والإنجليزية (بعد الترجمة) ، وشرحتُ في لقاءاتي لماذا كتبتُ « الأحاديث » .

النّاسُ هنا تعرفُ موعدَ الأمسية .

. . .

سقتنى كأسَ سرِّ السرِّ .

وَثَقَت فاستراحت ، وَعَرِفَت أحوالي .

هي القريبةُ قلتُ لها كُلّ شيء . فمن تقرَّب قُرِّبَ ، ومن صَفَى صُفِّي له . شوقي مفتاحُ باب محبتها ، وذكري الدائم لها بالقلب واللسان مفتاحُ باب شوقها .

كان صديقى « محمد » فى الغرفة الأخرى مع فتاة فرنسيةٍ دون العشرين ، جاءت إلى هذه البلاد حديثا ، يُعلِّمُها الإنجليزيةَ والعشق .

وأنا فى الغرفةِ الثانيةِ . أقرأ عن الغريبِ والغُربةِ في هذه الدنيا . أنهيتُ الكتابَ وهتفتُ عَلَّها تسمعُنى فى « برّ العشق » :

«ما أرىٰ نفسي إلاَّ أنتمو
واعتقادي أنَّكم أنتم أنا
عنصرُ الأنْفسِ منا واحدٌ
فكذا الجسمُ جميعاً : عَمَّنا »

اشتعلت النفسُ شوقاً ، وزلزلت الروحُ زلزالَها ، وَبرْكَنَتْ أرضي ، وخرجت حِممٌ لا يقدرُ عليها إلاَّ الشعر ، ما خَمَدَتْ وَهَمَدَتَ ونامت إلاَّ بانتهاء كتابتى لـ « حديث الغريب » ، حديثُها ، إليها .

مضت الأربعون يوماً . فى الصباح التقينا ، أتت من مدينتها ستنام ليلةواحدة في هذه المدينة الواسعة وسترجع ، فى أحد الشوارع الأليفة كبلادنا تناولنا إفطارنا ـ غداءنا ، ومعاً رُحنا إلى مكان الأمسيّة ، أشعلنا المكان بالشعر ، وأحرقناه بالعشق .

ساعتان من الشعر قلتُ كُلّ شيء لها .

خرجنا وقررنا السفر معاً في الصباح
فقلتُ لها :
أموتُ وماتت إليكِ صبابتي
ولا قضيتُ - من صدقِ حبّكِ - أو طاري
مناى - المنى كل المنى - أنت لى المنى
وأنتِ الغنى ، كُلّ الغنى عند افتقاري
وأنتِ مدىٰ سؤْلي وغايةُ رغبتي
وموضعُ شكواى ومكنونُ إضماري .

٢٤ يناير ١٩٩٣

كيف أكون معك ..
كيفَ أكونُ قريباً
منـكِ ؟

أحوال
العاشـق

أحمد
الشهاوى

مُنذ حلولكِ في مدينةِ
برِّ العشق .

أدركتُ أنَّ العالمَ قد تغيَّرَ . وأنَّ سماواتي قد عَلَت فوقَ علوها ، وأنَّ لذَّتي صارت سرمديةً ، وأنَّ طريقَ روحي مؤدّيةٌ إلى جنّةٍ لا نهايات لها .

وأنَّ أَلِفي . أَلِفَ الافتتاح . أَلِفَ الأبجدية . أَلِفَ العشقِ .

أَلِفَ إقرأ . الحرف الأول . البدء . صارت أسمى .

تقدَّسَ اسمي بقُدسيةِ وجهكِ .

حَلَلْتِ فيَّ .

الأمكنةُ تَوَحَّدَت . صرتِ في الكُلِّ . أينما وليتُ وجهي كنتِ . صرتُ أخشى الوقتَ . الأزمنةُ فَوْتٌ . والفوتُ موتٌ . والموتُ افتراقٌ واتحادٌ . والحياةُ ـ أيضاً ـ افتراقٌ واتحادٌ . وما بين الموتِ والحياةِ أعيشُ أموتُ .

هل كان حلولُكِ رحيلاً . إقامةً إلى حينٍ . مكوثاً بَعدَ لأْيٍ . . بحثاً بعد سفرٍ ، وطناً بعد غُربةٍ .

هل سفرُكِ في القلب ، وفي الأرْضِ لأجلي .

أنا الذي كنتُ في بدئِكِ . وتبغين وَصْلاً حتىٰ الخروج إلىٰ بحرِ السماوات .

عندما هاتفتِني من أرضك .

قلتُ « هو الذي خَلَقكم من نفسٍ واحدةٍ » ، « وإذا النفوسُ زوّجت» .

هل سمعتِني ؟ .

أدركتُ أنَّ الطِّينَ واحدٌ . أنَّ انقسام نفسينا ذراتٍ لآلاف السنين .
قد التمَّ واتحد . وتزوَّجت النفوسُ . وَصَارَ عشقُنا خمراً لروحِنا يُسْكِرُنَا .

لكنَّكِ مرهونةٌ بقدرٍ ما . أرضٍ ما . (مع أنَّ الأرضَ لكِ والسماواتِ ، لكِ الخيارُ في البقَاءِ والرحيل) .

صَارَ هاجسي الأوّل بقاؤك . . رحيلُكِ .

ما بيننا نارٌ في قبضةِ الكفِّ ، نارٌ في قبضةِ القلبِ ، ماءُ نارِ روحنا في يدنا .

الأبديةُ لَنَا .

كيفَ أكونُ معكِ . كيف أكونُ قريباً منكِ .

كيفَ يكونُ قوامي بغيركِ .

هذا سؤالى الآنَ وقبل الآنَ وَبَعدَ الآن .

هذا سؤال الحنين .

لا إجابات لديَّ . الأسئلةُ أكثرُ شوقاً وقلقاً من برود الإجابات . السؤالُ فعلٌ واحتجاجٌ وصراخٌ من القلب . الإجابةُ سهلةٌ . . استكانةٌ . . رضوخٌ .

لكنَّ إجاباتكِ مختلفةٌ . فى طرفِ حروفِها . . روحي مُعلَّقةٌ .

وجسدي عائشٌ بألِفِ الإجابة . ونفسي سائرةٌ بتاءِ الإجابة . وما بين الألفِ والتاءِ جيمُ الجمال وألِفُ العشق وباءُ البقاءِ .

إنَّ سمعي وبصري ولساني وقلبي وعقلي : بيدكِ .

هل تصيرُ اليدُ التى هى حياتى حتفى ؟

إليكِ آوي

وفيكِ أسكنُ .

الكونُ وما فيه وَمَنْ فيه في قبضتكِ .

بحرُ الشوارعِ الذي يحملُني يسألُ . الأوراقُ التى تنامُ في روحي تسألُ ، العطرُ القديمُ الذي لا يموتُ ويحيا من هوائي ومائى يسألُ ، قُربُ المسافةِ البعيدةِ يسألُ ، رجفةُ القلقِ وخطفةُ البُعدِ تسألُ .

كساكِ الله حُلَّةَ المعرفةِ والمحبَّة .

هذا سؤالى .

إليكِ المبدأُ والمنتهىٰ .

وإليكِ غايةُ الغايات . أنتِ بحرُ الدنيا وما فيه ومن فيه .

تعرفين أنَّنى غريبٌ في الدنيا لأنَّها ليست وطناً لقلبى .

سفري في الأرضِ بحثٌ عن وطنٍ . سفري في الوطن بحثٌ عن وطنٍ .

أنتِ وطنُ القلبِ . وموسيقى بُكاءِ الرُّوحِ ، نشيجُ النشيد البعيدِ ، نداءُ غربتي في غربتي . ماءُ الموسيقىٰ الذى ينسكبُ شراباً من روحي إلى روحك ، إلى الأرض .

أنا الرّيحُ والموجُ ، دمعةُ البحر في قلبِ طائر ضائع غريبٍ ، أَدْرَكَهُ الحنينُ إلىٰ مُستقرٍ . مَزْجُ البحرين ، مَزْجُ النَّفسين ، صوتُ الصمتِ الشفيف لحرفٍ شاردٍ من حروف اسمي . البعدُ قرَّبني إليك . لكنَّه يشجينى ، يخشّى على الخروج الأخير من طِينةٍ أعرفُها .

كلُّ البدايات التى كتبتُ ، صارت محواً . لأنَّ نفسى محوٌ .

من يملأُ النَّفسَ غير كأس عشق لا تَفْنَىٰ .

تجلَّى الحقُّ في قلبى بصفةالعشقِ فصرتُ عاشقاً .

روحي مأخوذةٌ في حضرتكِ، وسري مغمورٌفي مشاهدتك .

على بُعد حفنةٍ من مائكِ أَنَا . . ولا أراكِ .

هل تفكَّرتِ في ما قاله واحدٌ من جماعتنا : إنَّ النَّفسَ متى يَئِست من الشيء استراحت منه ، ولم تلتفت إليه .

« فاذكرونى أذكركم » .

أنتِ تعرفين أنَّه بذكركِ يطمئنُ قلبى .

كشفت لكِ الأسماءُ عن أسرارها . وعرفتِ اسمي .

هل « ألف حاء ميم دال » كشفٌ سهلٌ؟

لقد تولّانى الله بالخصوصيةِ من بين الأسماءِ كُلِّها . مثلما تولّانى بخصوصيةِ عشقك .

إقامتُكِ سَفرٌ .

وسفُركِ بقاء ، ووجع ، وحنين ، ونزف .

فاللهم اغفر لمن سافر عنّا من أحبابنا . وتركَنا وحيدَيْن مع ماء الموسيقى نشربُ غُربَتَنَا ، ونبحثُ عن وطنٍ ، ونقوم الليلَ لنصل ما خلَّفتهُ شجرةُ الصحراءِ من حُزنٍ وسُكْرٍ .

اللهمّ إنّى
أسألُك
غَلَبةَ الشوقِ

أحوال العاشـق

أحمد الشهاوى

الحزُن رفيقي .

والحزنُ ـ دائماً ـ في الشكِّ . أمّا اليقينُ فَفَرَحٌ ورضا .

والشكُّ حياةٌ . ولا يقينَ في العشقِ أو الشعر أو النفس .

النفسُ حيرىٰ . والروح ـ دائماً ـ تبحثُ عن مُستقَرٍ لها فلا تجدُ .

تطوف الأرَضِينَ مُعَرّجةً إلى سماواتِها فلا تجدُ شجرةَ خلودِها ..

طلبتُ المُسْتَقَرّ بكلِّ أرضٍ

فَلَمْ أرَ لي بأرضٍ مُسْتَقَرّا .

هل حقيقةً طلبتُ المُستَقَرّ . أم أنَّنى مدفوعٌ إلى الترحالِ بقوةِ القلقِ ، ونارِ السؤالِ . وخروجي على نظامِ نفسي .

قال لي : عليكَ بدوام العشق .

فقلتُ : البابُ يُدَقُّ ولابُدّ من فَتحِه . والموتُ أقربُ . والوقتُ يتفلَّتُ من بين عينيَّ . والموسيقىٰ التي تسيرُ في الهواءِ لا تدومُ .

وقيامي الآنَ مِنْ على مِقْعَدِ التجلِّي للإمساكِ بها ، قطعٌ للفَيْضِ ، وإيقافٌ للمجرىٰ . والحِسانُ كُثرٌ . وأنا حيرانٌ . فاضْمَنْ لي ألفَ حياةٍ يَدُمْ عشقي .

قال : انظرْ إلىٰ داخلِكَ .

قلتُ : ليسَ لي خارجٌ . والرسومُ تَفْنَىٰ . وكلُّ رسمٍ وجسمٍ يكتمُ سّراً ، كلُّ ظاهرٍ يَحْجُبُ مَعْنَىٰ .

لم أُذِعْ سِرًّا . نفسيَ بئرٌ . والبئرُ ملأىٰ . لا تنكشفُ عورتُها .

اختلطت الأسرار وتَمَاهَتْ . وصارَالبحرُ ماءً خالداً في دروب يديَّ .

لا أتحدّثُ كثيراً ـ أحياناً أكرهُ الكلامَ .

وأحياناً لا أقوىٰ على الفِعْلِ . فى تَجَلِّي السرّ فِعْلٌ . الصمتُ مفتاحٌ إلىٰ جنَّتي . الصمتُ اختصارٌ للغاتِ الأرضِ جميعا .

والصمتُ ثورةٌ علىٰ الكلامِ ، أقصىٰ درجات الوصولِ من العشقِ ، مرتبةٌ إلىٰ العروجِ .

ماذا في داخلي غيرُهَا ؟

ما هذا الوجعُ ؟ ما هذا الألَقُ ؟ ما هذا الانكشافُ ؟ما هذا الصوتُ؟ ما هذا الوَدَاعُ ؟ ما هذا الجَنازُ ؟ ما هذه المرأةُ التي صوتُها من

ماءِ عشقِهِ ، بكاؤها يَرُجُّ السماواتِ، نشيجُها يشقُّ الصحارىٰ بحارا ، حُزنُها يصلُ الملائكةَ بأقدامِهِ .

سأرحلُ الآنَ ولا أعرفُ كَيْفَ سأصلُ إلىٰ مدينةِ « برِّ العشقِ » .

الوحيدةُ التي خَرَجَت وودَّعتني .

اللهم صِلني باسمها . وهب لي منها سرًّا .

وادرج أسمائي تحتَ أسمائها . وصفاتي تحت صفاتِها ، فهي الأعلىٰ ، وأنا الراحلُ إلىٰ « لا أين » .

افتح قلبي بنورها ، وعلّمني من عِلْمِهَا ، واحفظني بحفظها ، واسمعني منها ، وفهِّمني عنها ، وبصِّرني بها .

قال لي : اعلم أنَّا نولعُ بالشيء حيناً حَتَّىٰ نَأْخُذَهُ ، فإذا غابَ عنَّا نسيناه .

قُلتُ : سأقصُّ عليكَ حكايةً « من ألف سنةٍ عشقتُ امرأةً . ولمَّا اقتربتُ منها أوّلَ مرةٍ . وجدتُ ناراً تخرجُ من وجهها .

تعجبتُ . نظرتُ أسفلي . فوجدتُ ماءً في الأرض . كانت المرأةُ تذوبُ . اقتربتُ أكثرَ . وذقتُها . فَشهِقَتْ شِهقةً عظمىٰ ، ارتجَّتْ لها السماواتُ . وغابتْ . ومن يومها وَأنا مشتعلٌ . ناري مرئيةٌ وصامتةٌ » .

أتراني نَسِيتُ . لا واللهِ .

فغيابُها حضورٌ دائمٌ .

لقدأسأتَ لي . إذ عَامَلْتَني كسائر الخَلْقِ . فالأخذُ لا يعني اعتياداً ،

والغيابُ لا يهزمُهُ السلوانُ . وأنا مشمولٌ بالعشقِ ، ومحمولٌ علىٰ أعناقِ المحبَّةِ . وموسيقاى لا تَسْكُتُ أبدا .

وَلَعي أبديٌّ . وامرأتي مزروعةٌ أينما توجَّهتُ .

والويلُ لمن يغيبُ بعد الحضورِ ، ويهجرُ بَعْدَ الوصلِ .

اللهم إنّى أسألُكَ غَلَبَةَ الشوقِ .

اللهم اعذرني في جهلي .

فالمعرفة بحرٌ وأنا فيه ساكنٌ . لو خرجتُ إلىٰ البرِّ مِتُّ .

ولو بقيتُ في القاعِ ما اصطدتُ شيئا .

عزائي أنّى أبحثُ عنها ، اعتقاداً مني أنّها تسكنُ البحرَ .

مثلما جاءَ في الكُتبِ الأولىٰ .

قَتَلتنى

وَجَعَلَت من جُمجُمَتى آنيةً زَرَعَتْهَا وَرْدًا وَوَضعتْهَا أمام بيتها .

مَررْتُ ليلاً في طريقٍ ليست مهجورةً . فأصابتنى دهشةٌ .

ما هذا النورُ الذي يملأُ السماوات . كأنّى في وضح النهار . مامصدرُهُ .

النجومُ مُقْفِرةٌ ، قل هو سحرٌ أو ما يشبه الجِنَان .

فَرأيتُ آنيةً بها وردٌ مازال بكراً . عمره ألفا سنةٍ . يتكلَّم بكلام لا هو شعرٌ ولا هو نثرٌ . كلامُ عاشقٍ . مع كُلِّ حرفٍ يقولُهُ تُضوّى السماواتُ

لساعة ، ولذا يتصلُ النورُ بالنورُ ، والليلُ بالنهارِ ، فلا تحسُّ أنَّ نهاراً جَاءَ أو ليلاً مضىٰ . كلامٌ موصولٌ .

رأيتُ طيورَ الليل تبكي . وامرأةً من شرفة البيت ذاهلةً تردِّدُما يقولُهُ الوردُ :

السلامُ عليكِ يا بحرَ الندىٰ .

حقيقةُ الهَجْرِ نسيانُ المهجورِ .

المرأةُ الحسناءُ تُصيبُكَ في قلبكَ .

إنّى أسألكَ أن تُغيّبني بقربها منّى ؛ حتَّىٰ لا أرىٰ ولا أحسَّ بقربِ شيءٍ ولا ببعدِهِ عني .

شرابُ المحبَّةِ : مزجُ الأوصافِ بالأوصافِ ، والأخلاقِ بالأخلاقِ ، والأنوار بالأنوار ، والأسماءِ بالأسماءِ ، والنعوتِ بالنعوتِ ، والأفعالِ بالأفعال .

بكىٰ الوردُعند لام « الأفعال » . وقال : « لِمَ فَعَلْتِ بى هكذا » فبكيتُ . وبكتْ المرأةُ . وامتزج بكاؤنا بدموع الطيور والسماوات .

قلتُ للورد : هل تعرفُ العاشقَ .

قال لى : أنا العاشقُ .

وَتَعَجَّبت المرأةُ من حواري والورد . وَهُنَا أدركتْ اتحادَنَا وحلولَنَا .

فقلتُ : « لِمَ فَعَلْتِ بى هكذا » .

قالت : من شدّةِ الشوقِ قتلتُ عاشقي وعشقي . فاعذر امرأةً مكسونةً بماءِ شوقِكَ . وابتَدِىءْ حياتَكَ .

ففي الحياةِ موتٌ آخرُ .

قلبى مُعلّقٌ بِمخْلَبِ طائر

أحوال العاشق

أحمد الشهاوى

قلبي مُعلّقٌ في مِخلبَيْ طائر

لا أستقرُ أبدا .

دوماً على سَفَر . أَحرِقُ الأزمنةَ والأمكنةَ وأرحلُ .

الإقامةُ موتٌ . والشوقُ موتٌ . وسفري دخولٌ في موتٍ ما قادمٍ .

طائري معروفٌ . ومحدَّدٌ .

طائري يذوبُ في طيورٍ غريبةٍ ، غير معروفةٍ ، وغيرمحدَّدةٍ .

يشربُ البحارَ والمحيطاتِ ، يحملُ الأرضَ ، قلبي يقرأُ أورادَهُ للعالمين .

الناسُ في اندهاشٍ .

كيف لى بأجنحةٍ حتّى أَلْحَقَ الطائرَ .

تلاشىٰ وذابَ ، دخلَ فى الهواءِ ، امتزج بالماءِ، صار يُحَدِّثُ الناسَ عن شوقي .

قال سيأتيكمو عاشقٌ من مدينةِ « برّ العشقِ » يملأُ الدُّنيا شوقًا .

حكاية

موجوعٌ . قبل اكتمال القمر ، البحرُ في السماواتِ ، وعيناى تصطادان نجوماً بعيدةً تائهةً تبحثُ عن مكانٍ تبيتُ فيه من شدّةالسهر والتعب ، تداعت أعضاؤها . دَخَلَ طائرٌ يتكلَّمُ . كنتُ مأخوذاً من الافتراقِ ، قال لى : قَلبُكَ معلَّقٌ في مِخْلَبَىْ . قلتُ : كيف ؟ ، قال : محبوبُكَ سائرٌ في الأكوان ، فكيف لك أنْ تعاينَهُ . لم أرد . قال : اتبعنى . وطار .

روحي فى وحشةٍ من جسدي .

سَرَت الرُّوحُ في السماوات . وتلاشى الجسدُ . دخلتُ في السؤالِ .

هل الروح تسري بقلبي . هل الجسدُ يفنىٰ بقلبى .

أطلبُ أموراً يصبغرُ الدهرُ عندها .

الموتُ يدركُني . والوقتُ يفوتُ . كلُّ شىءٍ يتغيّرُ .

القلبُ يسافرُ والمحبوبُ يسافرُ ولا يلتقيان .

هما واحدٌ . فلماذا وقعَ النأىُ . هل رغبةٌ في المعرفةِ ؟

عبثاً أقلِّبُ الذي في الروح فلا أَرَىٰ سوىٰ الوحشةِ .

مُؤتَنِسٌ بالتذكّر . الماضى يؤلمُ من شدّة اللذّةِ .

لذّةُ الروحِ كمالٌ .

تحدثُ اللذّةُ من دفعِ الألمِ .

توهمتُ السماءَ - كُلَّها - في قبضةِ يدي .

قلبي مقطوعٌ عني . ومحبوبى مسافرٌ ومقطوعٌ . وقلبى يبحثُ ، فهل المحبوبُ يبحثُ ، أم سافر للبحثِ عن سؤالٍ لإجابةٍ ، أو إجابةٍ لسؤالٍ .

جاءنى عليٌّ بن أبى طالب وقال لى :

الناسُ على سفر والدنيا دارُ ممر ، لا دارُ مقر ، وبطنُ أُمّهِ مبدأُ سفره ، وزمانُ حياته مقدارُ مسافته ، وسنونُهُ منازِلُهُ ، وشهورُه فراسخُهُ وأميالُه ، وأيامُهُ وأنفاسُهُ خُطاه . .

فسافِرْ أيُّها الفتى العاشقُ . وَكَرَّر قولَهُ عليَّ مئة مرة .

فسافرتُ .

قلتُ : الدنيا منزلٌ من منازلِ سفري .

وأنَا سافرتُ في دنياى بالقلب والروح والنفس والعقل والجسدِ .
الدُّنيا في قدمي .

والمنازلُ كثيرةٌ . وعليَّ إدراكُهَا

فى كلِّ منزلٍ عشقٌ . مثلما فى كلِّ أرضٍ خَيْمَةٌ .

وقلبى هوالأصلُ ، ومادونهُ - العالمُ - فَرَعٌ .

من قلبى يبدأ كلُّ شيءٍ حيٍّ ويموتُ .

من بَحْرِهِ يلتقي الغريبان ، الشتيتان .

من لذّةِ جسدِ المحبوبِ ، تحدثُ لذَّةُ جَسدِ الرُّوحِ .

أغيبُ في شفاهِ إلى الأَبَدِ . تفوتُ الأزمنةُ ، وتتلاشىٰ الأمكنةُ .

وتكلِّمُنى عينٌ ـ في الصدرِ ـ مُشرعةٌ كسماءٍ . سبحانَكَ أبدعتَ فتجلَّت صُوَرُكَ في محبوبى .

اهتزّالعرشُ . غبتُ . غابَ محبوبى ، الشوقُ ضيَّعنا .

لحظةُالإشراقِ إشراقي .

من حريرها الأسود لحريري .

أطوي كُلَّ أَزَلٍ وكلَّ لا نهائيةٍ . . وأمشي .

اللذَّةُ دائمةٌ . والوقتُ وقتُنَا .

حكاية

لمَّا رأيتُها عَرَفتُها ، ولمَّا عرفتُها اشتهيتُها ، ولمَّا اشتهيتُها طلبتُهَا .

والشوقُ طَلَبٌ .

والطَلَبُ مُحادثةٌ ، والمحادثةُ التقاءٌ . والالتقاءُالتقاءٌ ، والالتقاءُ اتحادٌ . وأنا أستطيع أن أعيشَ حياةَ الاتحاد دون انقطاع .

لو ألقىٰ الطائرُ ممَّا في قلبى ذَرَّةً على جبالِ الأرض لذابت .

وفي الذوبِ سيعرفُ المحبوبُ أنّي في سماءٍقريبةٍ منه .

سيحدِّدُ الوقتَ والمكانَ . سيعرفُ الطائرَ . سنون الاتحادِ لا تضيعُ . هو يعرف أنَّه . .

في قُرْبِنَا كرامتُنا .

والشوقُ . . انجذابُ القلبِ إلىٰ مشاهدة المحبوب .

وأنا عارفٌ بفنائِهِ ، مُستيقنٌ ترحالهُ . لكنِّى لا أعرفُ لماذا ضاقت الأرضُ بقلبه .

هل الطائرُ من تجلّياتِهِ وكراماتِهِ

قلبى . . هو النورُ الأزلى ، وسرٌّ مُنَزَّلٌ في عينِ الأكوانِ .

لا يكشفُهُ سوى محبوبى ، ولا يستضىء بكشفِهِ إلَّاه .

وحيثما نزلتُ أرضاً أو سماءً يكونُ قلبى معي فارغاً وخاليًا عن الأشياءِ .

مملوءًا بنورِهِ الأقدس .

السفرُ انكشافٌ وجلاءٌ .

فهل ينكشفُ محبوبى ويتجلَّى ؟ □

يكادُ سَنا بَرْقِهَا يُذهِبُ بَصرِي

أحوال العاشق

أحمد الشهاوى

حدثت الغيبة بالاتحاد..

وَحَدَثَ الغيابُ بالافتراق .

وإذا كان الموتُ خَلاَصًا من رقِّ البدنِ ، وانتصاراً على حدودِ المكانِ والزمانِ ، ومجاوزةً للتناهي .

فهل السفرُ انعتاقٌ من العشقِ أم سَفَرٌ إليه .

مازلتُ أرىٰ أنَّ « برّ العشق » مدينةُ المدائن ، الكونُ بمائِهِ وَخَلْقِهِ، السماواتُ في انفلاتِها وجنونها ، اختصارُ الدُّنَىٰ جميعا ، فكيف لها أن ترحلَ تاركةً ماءَهَا ، وهى التي كانت كماءٍ أنزلتْهُ السماءُ . يكادُ سَنا بَرْقِهَا يُذْهِبُ بَصَرِي .

موتُ الموسيقىٰ موتٌ للعشقِ .

السفرُ موتٌ للعشقِ .

المرأةُ التي تضعُ ملحَ نارها على جسدٍ مُشتعلٍ تنتحرُ . المرأةُ التي ينامُ ماؤها في سرير شوقِهَا صحراءٌ . .والتي تدفنُ أَلِفَ العشقِ وَتَنْسَىٰ نُونَ البَدْءِ وتحوِّلُ ماءَ الوصلِ إلىٰ تُرابٍ خاسرةٌ .

قل هي سنة أو أقلّ قليلاً، بحساب البشر ، ألفُ سنةٍ أو يزيد بحساب القلب والرّوح . كانت قد جاءت إلىٰ المدينة قبل التقائي بها بعام . أقامتْ ، عَرِفَت خريطَتَها ، حطَّت رحالَهَا . أخبرتني أنّه آن الأوان للرّحيل ، فمكتوبٌ في لوحِ جسدِها وروحِها أن تَفْنى حياتُها في مدنٍ وبلادٍ بعيدةٍ . تأكّدْتُ أَنَّ قَلْبَهَا ـ ربَّما من تقلّب الدهر ـ قد تنشرُهُ، وقد تَضَعهُ في ركنٍ من بيتها .

منذ بدءِ توحدنا ، وهي تُمَهِّدُ للفُرقةِ والغياب .

ربَّما هي لذّةُ الوجع ، أولذَّةُ الحضورِ المؤقت

لم أعرف الحبَّ مشروطاً ، هو ضربٌ من الخَبَل وتفويتِ الزمنِ. تسليةٌ محبَّبَةٌ .

قد يفكرُ المحبُّ أو المحبوبُ في أنّه إذا حَصَلَ الحُضورُ بعد الغيبةِ ، كان ذلك التذاذاً في غاية القوة .

دعــاء

اللهمَّ

حُلْ بيني وبين من يحولُ بيني وبينها .

نَوِّرْ قلبي بنورِها .

اغمسني في بحار مائِها الذي إذا تجلَّى ماتت العيونُ وتألَّقت ، أنَّتْ خيوطُ حريرِ الجسد ، وَحَنَّت الشفاهُ أبدا ، وابتُعِثَت الحروفُ سكرىٰ على لسانِها .

كيف ياربُّ بعد ارتجاجِ الجبالِ أعودُ خائبا .

أعنِّى على الوصول إليها .

وأعطني مِفْتَاحَ قلبها .

وامنحني عمراً لأحصدَ ثمرات التقريبِ بيننا .

كأنَّ مجامرَ من نارٍ أبديةٍ فى عينيها ولسانِها وشفتيها وخدَّيها وبحرِ جَسدِهَا .

كان حريرُها الأسودُ يذكِّرني ببدءِ الخليقةِ ، وعتمةِ الأرضِ قبل انبثاق النورِ . من عينيها خَرَجَ نورُ الأرضين والسماوات .

كانت السماءُ تخرجُ من الحرير حَيَّةً باسقةً كمئذنةٍ فى المدينة . لامَسَ نورُ السماءِ سوادَ الحريرِ ، عانقهُ ، توحَّدا ، انفتحت الحدودُ ، تكلمت الأرضُ ، وَسَكَن من عليها وَسَكَتَ ، وَصَارَ سوادُ حريرها في سمائها ، وأنا تحت السماءِ آكلُ من ثمر الجنَّة ، وأشربُ من الكوثرِ ، وأغتسلُ من السلسبيل .

إمساكُ السماءِ في راحة اليدِ لذَّةٌ وانتشاءٌ ، السماءُ ليست صامتة أوخرساءَ أو جامدةً أو طريةً ، إنَّ كلاماً لها وطقوساً وفرحاً وبكاءً وغناءً ووجعاً ، من يحيطُ بها واصلٌ أو وليٌّ ، قطبٌ عاشقٌ ، فريدُ عصرِهِ ، ووحيدُ دهرِهِ .

السماءُ بابُ القلبِ ، ومفتاحُ الجسدِ

في فمي تمطرُ السماءُ عسلاً ولبَنًا . كيف لي أن أنسىٰ طعمهما .

خَلَقَ اللهُ سماءَكِ من نونٍ .

رَسَمَ النُقطةَ فَأَبْدَعَ ، وصوَّرَ البَحْرَفتجلَّىٰ فصارت سماؤك « ن » وأقسمَ بِخَلْقِهِ وَخَصَّ « النون » (ن والقلمُ وما يَسْطُرُون) .

عندما خَلَقَ اللهُ النون دُحيت الأرضُ ، وَصَارَكُلُّ شيءٍ في تبدّلٍ .

وَأَوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ القَلَمَ قال له : اكتُبْ ، فجرىٰ بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة .

وكتبَ القَلَمُ « ن » .

قبل غيابها .

غابت سماؤها ، لم أَرَهَا مُنذ شهورٍ بعيدةٍ ، كأنَّها تقولُ لي عِشْ بالحضورِ الأوّل ، املأ عينيكَ وقلبَكَ وجسدَكَ وروحَكَ ولسانَكَ بمرتين تعيشُ بهما حتىٰ الحضور الأخير فى الرحيل الكبير . نَسِيتَ أنَّ السماءَ نونٌ ينبغي حِفظُهُا وكتابتُها ، كي لا يصيبَها المحوُ والتلاشي .

كُلَّما التقينا

كان الماءُ على متنِ الرّيحِ ، وكانت الرّيحَ علىٰ الهواءِ .

ومائى كان يخرجُ من تحتِ كُلِّ جزءٍ في جَسدي .

المسافةُ التي بيننا محترقةٌ ، والتوحّدُ قائمٌ . كيف للندىٰ أن يغيبَ عن سماءِ أشجارِهِ ، حياةٌ أخرى سيحياها ، ربَّما يتذكَّرُ مدينةَ برّ العشق ومن فيها .

ربَّما تتذكَّرُ السماءُ ألفاً أوحاءً أو ميماً أو دالاً . قد تكونُ الحروفُ الأربعة عصّيةً على التذكّرِ ، فيكفي حَرْفٌ أو اثنان .

لكِنَّ الذي في المدينةِ يذكُرُ الندىٰ ويذكُرُ الصباحَ عندما يأتي بحريرِهِ ليقرأَ خُطْبَةَ الوداع .

سيذهبُ النَدَىٰ طائعاً ، هذا خيارُهُ .

عندما يحطُّ في أرضِ رحيلِهِ ، سيخرجُ طائرٌ من قَلْبِهِ اسمه « أحمد » رأسُهُ تحت عرشي ، له جناحٌ بالمشرقِ من نارٍ ، وجناحٌ بالمغرب من ثلج ، إذا تحركتُ ، أو إذا قلتُ : « قُلْ هي « النون » ، قام الطائرُ مرتعشاً محموماً ، أقام رأسَهُ تحت عرشي ، وصفَّقَ بجناحيهِ ، فلا الذي من النار يذيبُ الثلجَ ، ولا الذي من الثلج يطفىء الذي من النار . ثم ينادي بأعلا صوتِهِ : ألفٌ حاءٌ ميمٌ دالٌ . . أحمدُ . فلا النارُ تسعفُهُ ولا الثلجُ يدركُهُ .

يظلُّ هكذا إلى قيام الساعةِ ، حياتُهُ ثلجٌ ونارٌ . حائرٌ لا يعرفُ أينَهُ من زَمَانِهِ ، لأنَّه غابَ بعدَ حضورٍ ، وأَحْرَقَ نصفَ ذَرّةِ عشقِ حبيبه ، بعدما ظلاّ ملايين السنين يبحثان عنها .

قال أحمدُ :

اللهمَّ صِلْ من وَصَلني ، واقطع من قطعني □

نُقْطتُها بحرٌ من اللذَّةِ سائرٌ في السماواتِ

أحوال العاشـق

أحمد الشهاوى

هل ستظلُّ هكذا طويلاً ، والقلبُ ممتلئٌ .

السطرانِ الأوّلان يبدآن مسيرةَ البحرِ

وبعد قليلٍ سيظهرُ نورُ سرِّ دخولِها في سمائي .

تَرَكَتْ رسالتين وحيدتين قبل ثلاثةِ آلافِ عامٍ

قالت لي في إحداهما ـ أعتقدُ أنّها الثانية ـ :

« كنتُ أتنفَّسُ رائحتكَ في كلِّ لحظةٍ » ، «معكَ لا أزالُ . . ومعكَ سأظلُّ » .

أحرقَ الهوىٰ قلبي .

وقلبي في بحرٍ على مسيرةِ ألفِ عامٍ . والبحرُ في عينيها .

جسدُها دائماً مشتعلٌ بنارٍ توقُّدِ اللُّقيا

ولذا فهي تخشىٰ الوحدةَ . وتتركُ بيتَها وحيدةً

. وتعودُ في المساءِ الأخيرِ وحيدةً . تنامُ علىٰ ماءٍ وحيدٍ ، وعن يسارها سماءٌ وحيدةٌ .

الموسيقىٰ التي تحرقُ أصابِعَها من شدّةِ التذكّرِ تُحَلّي جسدَهَا محموماً ، رماداً ، الليل يَلُمُّهُ لَيدركَهُ الصباحُ .

علىٰ سرير العَرشِ كان بيني وبينكِ سبعون حجاباً من نورٍ ، لو دنوتُ من أحدِهَا احترقتُ .

سارت الجبالُ معي ذَهَبَا .

وصار سريرُكِ لؤلؤةً في صورة ديكٍ ، رِجْلاهُ في التخومِ السُّفْلَىٰ ، وَعُنقُهُ مثنيةٌ تحت عرشي ، وجناحاه في المشرقِ والمغرب .

كان الديكُ يؤذِّنُ :

« إنَّ المحبَّ لمن يُحبُّ مُطيعُ » .

أحياناً ، كنتُ أبدأُ الليلَ ، ولا أنتهي .

اللذّةُ لا حدودية ، والانتشاءُ أزليٌّ ، والوجدُ هزّةٌ أبديةٌ ، وإدراكُ كُنْهِ الشّيء تمسُّكٌ به .

كنتُ أنزلُ من سمائي في ثلاثِ ساعاتٍ بقينَ من الليل .

الحركةُ هنا والتوحُّدُ ، الدُّنىٰ صمتٌ ، والدخولُ محفوفٌ بالفَرَحِ .

الحبُّ سببُهُ الجمال .

وفي اللحظاتِ الأخيرةِ من الساعة الأخيرةِ، يخرجُ النهارُ من عينيها .

وتتفجَّرُ الشمسُ وردةً من وردتها .

الوردةُ التى لم تمسسها يدُ بشر . بكرٌ ، أوراقُها باسقةٌ من نداها المنسال ، بين الورقةِ والورقةِ مسيرةُ ألف عامٍ من النور واللذّةِ . الوردةُ تشتعلُ ، النورُ يحرقُ الأرضَ والسماءَ ، لا شيء ـ يحيا إلاَّ الوردةُ ، كلُّ شيءٍ غائبٌ إلاَّ حضورها .

أضعُ يدِي اليمنى في مئذنةِ سمائها ، فيموتُ نظرُها ، أضعُ يدي اليسرىٰ في مئذنةِ سمائها الثانيةِ ، فتصرخُ كلُّ شيءٍ هالكٌ ، أضعُ يدي اليمنى في مئذنة سمائها الثالثة ، فتقولُ زدنى أكُنْ لكَ أرضا ، أضعُ يدي اليسرىٰ في مئذنةِ سمائها الرابعةِ فأقولُ : كلَّما ازدادت المشاهدة ازداد الحبُ ، لأنَّ الاشتياق يهيجُ باللقاءِ ، أضع يدي اليمنى في مئذنةِ سمائها الخامسة فتتوحّدُ النارُ بالنور ، أضع يدي اليمنى في مئذنةِ سمائها السابعةِ فتغيبُ ولا تعرفُ من هى ولا من أنا .

فأنا مجهولٌ في الأرضِ ، معروفٌ في السماءِ .

كان قلبى قابَ قوسين أو أدنىٰ من العرشِ وقدمى في مُستقر السماء السابعةِ . وَنُونُها تزدادُ دوراناً ، ونُقطتُهَا بحرٌ من اللذّةِسائرٌ في السماواتِ .

لماذا لم أستطع الكتابةفي الساعات الأخيرة من ليل أمس الجمعة .

أنَا لا أخرجُ علىٰ الناس يوم الجمعة . هو لي . هل هذَّ التفكيرُ ذاكرتي ، وأماتَ رأسي ، مشغولٌ أنا بها ، وبالزمن ، والماضي ، والموت ،

ومَا سيبقىٰ من الشعر . أريدُ أنْ أقبضَ علىٰ كلِّ لحظةٍ ، لا وقت أمامي ، الحياةُ تحترقُ صفحتُها كلّ صباح .

كلَّما مَرَّ شعاعٌ من نورٍ أمامي عرفتُ جَهلي .

ربَّما لأنّى مُنذ عرفتُكِ انكشفَ لي كلُّ شىءٍ

المحبَّةُ مُوافقَةٌ ، والمعرفةُبين يدىّ . والوقتُ لا أملكُهُ .

« أحْببتُ أنْ أُعْرَف فَخَلَقْتُ الخَلْقَ فتعرفتُ إليهم فعرفوني » .

مَتَىٰ يلحقُ آخري بأوَّلى ، وَأوَّلي بآخري .

من يَستطيع كتابة البدء منذ ١٢ نوفمبر ١٩٦٠ . من يتذكَّر السنوات الأولىٰ ، من في الأرضِ يعرفُها ؟ ، هل ستضيع تلكَ التفاصيلُ والسنواتُ لأنَّ التي تعرفُها رحلتْ بعدَ انبثاقِ البدءِ بأقل من خَمْسَةِ أعوامٍ .

أأظلُّ حتَّى الموت أجهلُ سنواتِ بَدْئي ؟ .

كم مَرَّ من الوقت لأعرفَ موعدَ الرحيل . المدائنُ التي نحبُّها تَطْعَنُنَا من الخَلفِ لأنَّها تستقبلُ أحباءَنَا .

منذ سكنتُ هذا البيتَ فَصَلْتُ جرسَ البابِ عن الدائرة الكهربية .

لأننى أخشى القادمَ ، ربَّما الموتَ ، ربَّما صديقًا لا أرغب مقابلتَه .

الصوتُ يذبحُ الصمتَ كلَّ ثانيةٍ .

لابُدّ أنْ أعوِّدَ نفسي من الآنَ أن الندىٰ يملأُ القَلْبَ دوماً ، ستقتُلُهُ

سنواتُ شمس الرحيل . وأن أُردِّدُ أينما كنتُ : اللهمَّ إنّي أسألُكَ لذَّةَ النّظرِ إلى وجهها والشوقَ إلى لِقائها .

كيف تُسمّى مسافةَ الصمتِ بين كتابةِ كلمةٍ وأخرىٰ .

كيف تصفُ لقاءَ امرأةٍ أحببتُها يوماً . ماذا ستقولُ لها عندما تكونان وحيدين .

ما الذي نعرفُهُ عن الشعر والموتِ والنساء والسفر .

كيف أكتبُ لذَّةَ عشتُها .

أجملُ الأشياء التي عشتُ لم أستطعْ كتابتَها .

كلَّما مررتُ بأصابعي علىٰ أرضِ سمائِها أدركتُ جهلي .

كنتُ ـ وما أزالُ ـ إذا تكلَّمتُ في المحبَّةِ تكسَّرت قناديلُ السماواتِ من اضطرابها .

لماذا يرحلُ الصباحُ من مدينةِ برّ العشق .

لا أتصورُ المدينةَ بدونها . بدوني □

عَلىٰ سفرٍ أنَا
كأنّ
الموتَ تحتي

أحوال العاشـق

أحمد الشهاوى

هل كانت السماءُ عن يميني

وماذا كان ـ إذن ـ عن يساري ، الموسيقىٰ التي تُصفّي القلبَ من أكدارِهِ ، وَيَشِفُّ الجسدُ طائراً لا يَحُطُّ على أرضٍ .

كنتُ في قَلْبِ السماءِ .

وكنتُ مُحاطاً بكِ في جهاتي السِّت .

علىٰ سَفَرٍ أنا كأنَّ الموت تحتي .

مُنذ ٢٥ مارس عام ١٩٦٥ تأتيني بمفردها . أذكُرُ اللحظاتِ الأخيرةَ، هل لي أن أنسىٰ المشهدَ الأخيرَ لرحيلها . كانت تنازعُ الموتَ . كنتُ طفلاً لم يُكْمِل سنواته الخمس ،لكنّني كنتُ أعي ما يدورُ في غُرفةِ الوداع ، غُرفَةِ الرحيل ، غُرفة الموتِ ، هكذا سمَّيْتُها منذ ١٣ أكتوبر ١٩٧٥ .

كانت طيورٌ سوداءُ تملأُ البيتَ ، تُنْشِدُ أغانيَ حزينةً ، تواجدتْ حتى تملَّتْ وانتشت وَغَابَتْ

وَسَقَطَتْ في الأرضِ . السماءُ أنزلَتْ ماءَها أسوَدَ .

كنتُ في السماءِ معها ومازالت روحي مُعَلَّقَةً فى السماءِ السابعةِ .

مُنذ ١٣ أكتوبر ١٩٧٥ يأتيني بمفرده .

كان يومِ الاثنين . كنتُ في الصفِّ الأول الثانوي ، لم تكن الدراسة قد بدأت إلَّا قبل ثلاثةِ أيامٍ . سألنى الكثيرون عنه . كان حزيناً لأنَّه لم يكن معنا ، تلك أولُ مَرَّةٍ يغيبُ فيها ، هل كان يعرفُ أنَّها الغيابُ الأخيرُ .

ظلَّ ينازعُ ، ينظرُ لي ، ولا يتكلَّمُ ، ولمَّا دَخَلَتْ أختي « سعاد » التى تكبرُني بعامٍ وثلاثة أشهر ، نظر إليها ، قبَّلَتْهُ ، وغاب .

لم أبكِ . لمْ أكُنْ أتصوَّرُ أنَّه الغيابُ الأخيرُ .

انتظارُهُ لها تَعَلُّقٌ ومحبَّةٌ موصولةٌ بالرّوح . أَبَت روحُهُ الصعودَ دونها مشاهدةِ الحبيب .

في هذاالمساء .

اشتعلَ الماءُ ، وَسَقَطَتْ النجومُ فى سريري ، وَأَحْضَرْتُ عرشَ من أحبُّ من مسافاتٍ بعيدةٍ في طرفةِ عينٍ .

دائماً أنا في حالاتِ شجنٍ .

شجنُ المساءِ كان ثقيلاً كثيفاً ، حتَّى سَمَتْ الرُّوحُ ، وَعَلا الجَسدُ صَاعِدًا .

جاءا معا .

مشهدا الوداع مكتوبان في هوائي .

الغرفةُ نَفْسُهَا شَهِدَتْ وَدَاعَهُمَا . لماذا تَشُدُّني الغرفةُ للنومِ كُلَّما زُرتُ قريتي .

غَرِقْتُ في أضواءِ الكشفِ. أَقْتَاتُ حُزْني

أرىٰ منازلَ كنتُ أهواها وأنزلُها أيام كنتُ على الأيام منصورا . الأيامُ تتفلَّتُ ، والمنازلُ تنأىٰ . ومدينةُبرّ العشقِ التى اصطفيتُهَا ضَاقَت دروبُها عليَّ .

غَرِقْتُ في بَحرِ البُكَاءِ، حُزني طَهَّرَ نفسي .

وقلبى لا يهلكُهُ الموتُ، بل يلتذُّ أَكْثَرَ وَيُضىءُ لخروجِهِ من الظلمةِ إلى النور .

عتمةُ السماواتِ هذا المساء تُضىءُ بنور قلبي .

ينكشفُ كلُّ مستورٍ ، وَيَظْهَرُ كلُّ باطنٍ .

ولذَّة قلبى المعرفة .

بعثُ السماواتِ والأرَضِينَ بِحُبِّيَ .

رأيتَ العرشَ من حولي ، وشاهدتُ مالا تُدْرِكُهُ الأبصارُ .

ملائكةٌ من نورٍ يَطُفْنَ بفراشى .

فى شرابى عطشانٌ وفى عطشِي مَرْوِيٌّ .

قِيلَ لِي ما تشتهي ؟ قُلْتُ : أَنْ أَعْرِفَهَا قبل موتي ، ثم هتفت : لا تشغلوني وَغِبْتُ غَيْبَةً كُبْرىٰ .

قالت : عندما يخرجُ « أحمدُ » من الديارِ راحلاً ، أَضْرِمُوا النارَ فى الأرضِ ففي قلبِهِ طائرٌ لا يستقرُّ .

ومرةً وَقَعَ بين يديهِ طائرٌ وظلَّ يُكَلِّمُهُ في المحبَّةِ ، والطيرُ يِضْرِبُ بمنقارِهِ الأرضَ حتَّىٰ سَالَ دَمُهُ واضطربَ ومَاتَ .

إنَّما أنَا أيَّامٌ كُلَّما ذَهَبَ يومٌ ذَهَبَ بعضي ، ويُوشكُ إذَا ذَهَبَ البعضُ أَنْ يَذْهَبَ الكلُّ .

كُلَّما كتبتُ شيئاً لَكِ انشقَّ الورقُ وسقطتُ مغشياً عَلَيَّ .

فَظَلَلْتُ أَذكُرُكِ بالقَلْبِ واللسانِ .

وَكُلَّما ذكرتُكِ ، جَفَّ لِيَ البحرُ وَخَضَعَ لِيَ الهواءُ فَخَلَقْتُ بحراً من مائئنا ، وَأَنْزَلْتُ سُفُنَ محبَّتي ، عَلَّني أَصِيدُ عمرين لِنُكْمِلَ أَبَدَ العشقِ

مازلتُ أنزلُ من وِدادِكِ منزلاً

تتحيَّرُ الألبابُ عندَ نزولِهِ .

أُحبُّكِ .

ومن أحبَّ شيئاً أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ

ولا ذِكْرَ لِي إلاَّكِ □

لا شيء معلومٌ
لَدَيَّ
إلَّاكِ وَنَفْسي

أحوال العاشق

أحمد الشهاوى

هذه الحروفُ التي

أحملُها .

تعرفُ قُدرتَها على الاحتراق .

وتُدركُ نفسي في أى البيوتِ تسكُنُ .

تُردِّدُهَا سماواتي ، وتنشرُها الرُوحُ في الأرَضِين .

حروفُكِ الأربعة . اسمُكِ . صار اسمُكِ أجلَّ وأعظمَ من كُلِّ الأسماءِ . منه تبدأُ الأشياءُ ولا تنتهي .

ليس معي غيرُكِ . ولا أحملُ سواكِ .

وما النورُ الذي يسيلُ من يديَّ إلَّا ماءُ بحرِكِ .

ما بين قوسين لا أرىٰ إلَّا سماءً مُكَسَّرةً .

وما بينَ فضاءين لا أرىٰ إلَّاكِ ، ولاأذوقُ سوىٰ وردةِ الرُّوح .

أعرفُ أنَّكِ نزلتِ عليَّ جملةً واحدةً
فَاضَ بحرُ أسمائها وَأَغْرَقَ الأرْضَ
وزادت معرفتُها فأدركتُ طائري وسألتُهُ الماءَ
فقال لي اشرب ؛ فالمعرفة جهلٌ .
أنتِ عينُ العالمِ
وكُلَّما اقتربَ الرحيلُ سقطتْ خريطةٌ ودالت أرضٌ في أرضي وَحَرَثَ بَحْرُكِ روحي . عينُ كُلِّ صورةٍ أنتِ .
سقطتْ الصورُ في مرآتي وتوحَّدتْ
من هسيسِ صوتِ سماءِ ماءِ روحكِ فَاضَتْ بئرُكِ بعينِ ماءِ مائِها وردةً حَوَتْ السماءَ بدمعٍ وهجٍ تَأَجُّجِهَا .
لم يكُنْ في يديَّ سوى ورقةٍ بيضاء أزليّةٍ مكتوبٍ فيها بنوري : أحتاجُ يديكِ لأمُدَّ حَبْلاً للسماءِ السابعةِ .
فَضَضْتِ الورقةَ وَأَذَبْتِهَا بماءِ كِلْمَةٍ ، وكان صمتُكِ سيّداً لحزني .
ساعتَها قُلْتُ نخيلي عاش دهراً مرتوياً بمائى ، بينما أشجارُ روحي أماتَتْها حروفُ « لا » .
فَقيرٌ أَنَا إلاّ بِحُسنِ عبارتي ،وصدقِ كلمتي ،وصوتِ وحدتى ، وصمتِ غربتي .
وَحَمْلي لرسمكِ واسمكِ فى نار دمي .

ذاتُكِ مُقَدَّسةٌ ، وَجَسدُكِ مُقَدَّسٌ
والذي في السماواتِ إشراقُ تَجلِّي نورِ رُوحكِ
نورٌ أنَّى أراكِ .
فأمشي حيثُما مشيتِ . وأقفُ حيثُما وَقَفَ بكِ الحُزنُ .

حكاية

كنتُ عائداً من سَفَر . عَلَىٰ مكتبي وجدتُ أوراقًا مُهْمَلَةً بحبرٍ أزرق ؛ لمَّا فَرَدْتُها طَارَتْ حماماتُ الصَبَاحِ من كلِّ حَرْفٍ . ورَأيتُكِ كصفصافةٍ زرعتُها قبل قرونٍ مَضَتْ علىٰ رأس أرضنا التي ترىٰ المياهَ الجاريةَ من عَيْن امرأةٍ تقفُ في منتصفِ النيلِ تبكي وَكلَّما سَقَطَتْ سماءُ دمعةٍ طَلَعَتْ صَفْصَافَةٌ وأنثىٰ تقرأ الشِّعْرَ وَتُدْفِىءُ ليلي .

ما عندي عندَكِ
وليس الذي عندَكِ عندي .

لم تسقطْ دمعةٌ في سريري الأسود ، وإنَّما احترقت أستارُ كعبةِ روحي، مالُكِ أَحْرَقَ مالي ، ومالي سواكِ ، وحروفُ « لائِكِ » هيَّجَتْ شجني .

كُلَّما دَخلْتُ خزانةَ الخيالِ كنتِ .
وفي الأحلامِ رأيتُني أمشي على مائِكِ
وفي الأرضِ ترفعين لاءَكِ ولا أراكِ .

الأرضُ تحملُني وتحملُ موتَ حُبِّكِ .

لم يكُنْ نورٌ ، ولم تكُن ظُلمةٌ . كنتُ في القَلَقِ ، كنتُ في المحوِ أستعيدُ البدءَ الأوَّلَ . لحظةَ تلاقي ذرتَيْ عشقِنا .

أنتِ عينُ كُلِّ كائنٍ .

وَأنَا الكائنُ المحمولُ على عرشِ النورِ

فالظلمةُ لا تتحوَّلُ نوراً أبدا ، والنورُ لا يتحوَّلُ ظُلمةً أبدا

وَأنَا أنتِ بين الظلمةِ والنورِ برزخٌ فيه ملتقيان .

بِكِ أُدْرِكُ المحالَ . وبين وُجودِي وعدمى أعيشُ وحدتي ، ينامُ الماضي بين يديَّ ، وتأتي إليَّ المدائنُ التي شفتُهَا في أسفاري ، ومن بين اللواتي عَرفْتُ يخرجُ من سماءيكِ نورٌ بِهِ أهتدِي ، وبه أتدثَّرُ .

لا شيءَ معلومٌ لديَّ إلاَّكِ ونفسي

كلُّ شيءٍ غامضٌ ومُعتمٌ .

لم أر فيروس كبدي بعينيَّ . ولمَّا حاولتُ سَقَطَ الثلجُ على أسفلت لندن ، وحمل « نوري الجرَّاح » ورداً فى كورمول هوسبتال ، كان القلمُ الأخضرُ ذاكرتي وصوتُ ارتطامِ وَخزِ الإبرةِ الطويلةِ كسماءٍ تائهةٍ من جيرانِها بجسدي شلاَّلَ نار .

انبهمتْ الأشياءُ

وغامتْ الصورُ

ووضحتْ في دروب نفسي تجلّياتُ صورتكِ .

واندرج نوري في نورِكِ .

لا أدري في أي وقتٍ أُقْبَضُ

متى أصلُ إليكِ

ربِّ زدني محبّةً

فما بعدَكِ إلاَّ عدمٌ محضٌ

فما نحنُ في الوجودِ إلاَّ زوجان : فاعلٌ ومنفعلٌ فيه .

النارُ تسرقُ وَقْتَنا ولا نقبضُ إلاَّ على الهواء □

خُلِقْتُ لأكون في قَلْبِ قَلْبِ الأكــوان

أحوال العاشــق

أحمد الشهاوى

في كلّ قطعٍ وصلٌ
أبديٌّ .

وفي كلِّ مسافةٍ مُحترقةٍ سنواتٌ من النورِ تَبْقَىٰ .

قُلتُ لبحري أن يكتفي بأنوائِكِ وانفلاتِكِ .
وأنْ يحفظَكِ على رأسِ السماءِ السابعةِ مياهاً من النورِ ووجعاً من العشقِ .

هل كنتُ في موقفِ الفَوْتِ أم في موقفِ الدَّيمومةِ . .

هل أنا ريحٌ تَتَفَتَّتُ ورداً ، ولا تلدُ ماءً ، وسمتُها الرحيلُ ، وعشقُهَا مُفَارِقٌ .

أنتِ عينُ قولي
بكِ ابتدأتُ الكلامَ ، فهل أَخْتَتِمُهُ

من يبيعُ المحبَّةَ بالتفاصيل الصغيرةِ ، ماذا تقول ذاتُه لذاتِه عندما يصيران في موقفِ الانفرادِ والوحدةِ . . .

منذُ التقيتُكِ . قلتُ : العشقُ لا يتقيَّدُ بوقتٍ ولا مكانٍ ولا نشأةٍ .

من صوت صمتِكِ عرفتُكِ .

عرفتُكِ بلا كشفٍ أو دليل

أغيبُ الآنَ ليبقىٰ صوتُكِ . خِفتُ انشغالَكِ بالهامشِ وأنا خُلِقْتُ لأكون في قلبِ قلبِ الأكوان .

الكونُ لايقومُ إلاَّ بكِ . هذا ما قالتهُ الرُّوحُ ولكنْ ماذا يفعلُ المرءُ عندما يتخلَّىٰ الكونُ عن كونِهِ . هل كَانَ اتحادُ كَوْنَيْنَا حقيقة أم مَحْضِ وَهْمٍ . كَمْ من الأيامِ يبقىٰ ، ليبدأ السَّفرُ .

مِنَ الأنَ يصيرُ سَفَرُكِ في الأمكنةِ . هل عَرَفْتِ سَفَرِ الرُّوحِ ؟ .

هل المحبُّ كَنْزٌ ، أَم ما تحملُهُ الخزائِنُ أبقىٰ للقَلْبِ .

كُنتِ ولا شيءَ مَعَكِ .

هكذا أنَا . ولمَّا طلبتُ مَرَّةً كانت الجبالُ سَدًّا أمامي .

ما أصعبَ أنْ يُجيبكَ الغُرباءُ ويتركُكَ المحبونَ تَشربُ مَاءَ الحيرةِ والوجع .

روحي باقيةٌ عَلىٰ حالها لا تتغيَّرُ

كأنَّ النارَ لم تُخْلَقْ .

أعرفُ أنَّ المحبَّ سكرانٌ لا يفيقُ إلاَّ عندَ مُشَاهَدةِ محبوبِهِ .

أراكِ في كُلِّ كُلٍّ . سَقطَتْ الرؤيةُ المُجَرَّدةُ وَبقيتْ معرفتي بكِ أبدا .

أيُّها الندى

خُذْ أوراقي ، واحملْ ماءَ أوراقِكَ ، ولا تنس حقائبَ الوَرْدِ ، خُذ الكُتبَ، خُذْ صوتَكَ في الغُربةِ، ليلَ المدينةِ ، لاتنس ما اكتنزتَ من مالٍ ، واعلم أنَّ كلَّ شيءٍ فيه كلُّ شيء .

وأنَّ للعشقِ لُجَّةً وساحلاً .

وقفتَ في الساحلِ وتظاهرتَ بأنَّكَ في بَحرِ اللُّجَّةِ ، فَسقَطَ نَدَاكَ الذي لا يسقطُ .

الصحراءُ كونُكَ . وشيمتُكَ جمعُ الماءِلا الفَيْضُ .

كيف للندى أن يصيرَ بَحْرًا ؟!

إذا كَانَ القلمُ واللوحَ أوّلَ عالمِ التدوينِ والتسطيرِ ، وبهما حَفِظَ اللهُ العالمَ .

فبقلمي وورقي حَفَظتُكِ .

قال : اقرأ .

وقُلتُ : ادخلي جنَّتي

فَدَخَلْتِ بلا بَذْلٍ أَوْ فَيْضٍ . لم يَهِمْ غيثُكِ وأحْرَقْتِ زَمَن الوصلِ بإمساكِ يديكِ ونفسكِ .

لم تصحَّ مناجاتُكِ ، لأنَّه إذا صحَّتْ المناجاةُ بالقلوب استراحت الجوارحُ .

لكِ أَن تَدْخُلي مدينةَ برّ العشق دخولَ الغرباءِ .

ستذكُركَ شمسي . ويكتبُ مائي على جسدِ الكونِ الرحلةَ . سأُذَكِّرُ الماءَ ألاَّ ينسى كمْ كنتُ أريدُكِ ، وَنَدَاكِ يأبىٰ دخولي .

في الغيابِ تعرفين طَعْمَ الحضور . وفي الصحراءِ تُدركين أَنَّ في الماءِ كلَّ شيءٍ حي . الرحيلُ في الأمكنة من غير روحٍ يليقُ بالندىٰ .

قمُركِ اختنقَ ولا أحدَ في الأكوانِ يفكُّ خَنْقَتَهُ . قبل اكتمالِهِ اختنقَ . لم تعرفي الكمالَ ، لم تشهدي الاتحادَ ، هل وصلتِ إلى الغَيْبَةِ ؟ لم يجد قلبُكِ عند إفاقتهِ من نَشوةٍ سروراً .

هل سنلتقي بعد مئةِ عامٍ .

ماذا ستقولينَ لي عندما تحدثُ مشاهدتُكِ

وَمَاذَا لو التقيا مصادفةً .

هل فكّرتِ في هذاالأمرِ ؟ .

للصحراءِ هاتفٌ وَقَمَرٌ ووقتٌ يفوتُ وذاكرةٌ لا تحفظُ .

ستسمعينني في الليل عند جبلِ العِشق أُنْشِدُ :

رأيتُ حُبّي بعينِ قَلْبي

فَقُلْتُ لا شكَّ أنتَ أنتَ

أنتَ الذي حُزْتَ كُلَّ أيْنٍ

فحيثُ لا أيْنَ كنتَ أنت

فليسَ للوهمِ فيكَ وهمٌ
فيعلمُ الوهمُ حيثُ أنتَ
ففي فَنَائي فَنَا فَنَائي
وفي فَنَائي ظَهَرْتَ أَنْتَ
في النّشيدَ نشيجٌ
وفي بَحْرِ الرمالِ يسقطُ الكلامُ كحبَّاتِ نَدَاكِ.

ذرّاتُ روحي محمولةٌ على بُخارِ دمِكِ

أحوال العاشــق

أحمد الشهاوى

كيف أكونُ قريبًا ممّن أُحبُّ وأعشقُ .

قلتُ : بالصمتِ والرؤيةِ الداخليةِ . وهذان شيئان أعيشُهما بمتعةٍ ولذَّةٍ وانتشاء .

كانت كثيراً ما تسألني : لماذا لا تتكلَّمُ .

فكنتُ أقولُ : الصمتُ في الأكوانِ نَعْتٌ لازمٌ، وما ثمَّ إلاَّ من يُكلِّمُ نَفْسَهُ ، وفي صمتي أراكِ ، وَأُكلِّمُكِ ، وأقتربُ ، وأصلُ ، وأفنىٰ ، وفنائي ليس فيه خِطابٌ ؛ لأنَّ الخِطابَ في حالةِ الفناءِ لا يصحُّ .

بالرؤيةِ الداخليةِ أكونُ قريباً . وتتحقَّقُ بإغماضِ العينين ، وهنا أمشي تحت قِباب النورِ ، وأستعيدُ ما مَضىٰ ، أحتجبُ بنوري عن البشرِ ، ذرَّاتُ روحي محمولةٌ علىٰ بُخارِ دمكِ ، تشفُّ حالي ، وأسلُكُ ، وكلُّ سالِكٍ غايتُهُ المعرفةُ . وأنتِ غايتي ، إليكِ المنتهىٰ ، وما ثمَّ إلاَّ نحنُ ، أنتِ منفردةٌ بأعلىٰ المراتبِ وأعلىٰ الأماكنِ .

تَتَّسعُ رؤيتي عندما أغمضُ عينيَّ

أغمضُهما في التذكّر ، في انفجار الوردةِ ، في سموقِ مآذن السماءِ تحت حرير البحرِ ، في الدخولِ إلىٰ البابِ المُعتِم ، في اندفاق الماءِ، وانتفاضِ الرّوح ،في تساقطِ أوراقِ الأشجارِ على أسودِ الغُرفةِ ، في صرخةٍ تفتنَ الكونَ ؛ فأقولُ :

اللهمَّ زدني في جنوني حتَّىٰ أكونَ قريباً منكِ .

أمضيتُ أربع ساعات ، كتبتُ خلالها سبعةَ عشر سطراً ، وأمس الجمعة لم أكتب حرفاً واحداً ، لم أسمع موسيقىٰ منذ يومين على غير العادةِ ، ربَّما أكونُ قد استمعتُ لقليلٍ من الموسيقىٰ لكنَّني لا أتذكَّرُ لمن كانت.

قبل أيام كتبتُ خمس صفحات من الحجم الكبير في أقلّ من الساعةِ .

الآن أدركتُ أنَّ السماءَ خاصمتني .

وأنَّ الندىٰ جفَّ عن شجري .

كان الصباحُ قد أَغْلَقَ أبوابَهُ وارتحَلَ ، وَمَهَّدَ لمغيبِ شمسهِ ، وربَّما لموتِها .

كلُّ يومٍ أنَا في حالٍ . ولكلِّ حالٍ عينٌ ، وعينُ من أُحبُّ لا تراني، فكيف تتحقَّقُ المحبَّةُعلى البُعدِ . الحبُّ أعلىٰ المقاماتِ والأحوالِ ، هوأصلُ الوجودِ وسيّدهُ ، لولا المحبَّةُ مَاصَحَّ طلبُ شيءٍ أبداً ولا وُجدَ شيءٌ ، ولا كانت حَرَكَةٌ من شيء إلىٰ شيءٍ .

لماذا أعشقُ كُلَّ ماهو أسودُ

رغم بياضِ قلبي .

لم أكن أعرفُ أنَّ في الأسودِ كُلَّ شيءٍ حيٌّ ومتحرّكٍ

في الحرفِ الذي أكتبُهُ بالأسودِ أرى نُورَهُ يخرجُ من نارِ الورقِ الأبيضِ يتحدان في روحٍ ، والأرواحُ ـ دوماً ـ روحٌ واحدةٌ .

في المسافةِ بين مجيئها وَسفَرِها قلتُ :

وحقُّ الهوىٰ إنَّ الهوىٰ سببُ الهوىٰ

ولولا الهوىٰ في القَلْبِ ما عُبِدَ الهوىٰ

قلتُ وهي ذاهبةٌ لصحرائِها :

مَامِن ذرَّةٍ في السماواتِ والأرضِ من فلكٍ وكوكبٍ وشمسٍ وقمرٍ وحيوانٍ ونباتٍ وصفةٍ وموصوفٍ إلاّ وهي شاهدةٌ علىٰ محبَّتي .

ما اشتعلتْ نيرانٌ إلاّ وانطَفَتْ .

ما عمرُ النَارِ . وممَّن خُلِقَت . هل نارُ الفِراقِ كنارِ السَّفرِ .

وهل نارُ الحطَبِ كنارِ القَلْبِ . وهل ناري كنارِها . وهل النارُ الممزوجةُ بالوجع كالنارِ المعجونةِ بالانتشاءِ . وبين نارينِ أنَا أحيا .

أحياناً أخشىٰ الموتَ حتَّى لا تنطفىءُ ناري . أضيرُ هكذا مُتَأَجِّجًا جادًّا ، ناري تَدُلُّ عليَّ .

هل الموتُ يطفىءُ النارَ وَيُرْمِدُها ، مثلما يَسرِقُ الرُّوحَ .

ما شكلُ الموتِ . هل رأيتَهُ .

زارني كثيراً في أراضٍ شتىٰ وَجَاءَ في صُورٍ متعدِّدةٍ . في كُلِّ مرَّةٍ أقرأُ في عينيَّ آلافَ الصفحاتِ من الماضي ، في كل جزءٍ من الثانيةِ أتذكَّرُ كُلَّ من عَرفتُ .

سألتُهَا قبل ساعاتٍ : لماذا ابتردتْ نارُكِ .

لم تُجِبْ . مَسٌّ من الغيابِ قَطَّعَ الوَصْلَ .

قُلتُ : اعلمي أنَّه إذا كان في السَّفَرِ فوائدُ ، ففيه أيضاً كثيرٌ من المضار، أكبرُهَا غيابُ المحبوبِ وإسدالُ ستائرِ الزمان عَلَىٰ نوافِذِ قَلْبِهِ ، وهجرانُ صوتِهِ ، وَفقْدانُ ملامِحِهِ ، ونسيانُ عدد دقَّاتِ قَلْبِهِ عند الدخولِ والاتحاد ، والعيْشُ على تَذَكُّرِ ما مضَىٰ ، حتَّىٰ تتلاشىٰ الصورُ وتَنْمَحِي ، فالغيابُ يُصدِىءُ القَلْبَ ، والمسافاتُ القريبةُ تنأىٰ ، تصعدُ المياهُ إلىٰ السماءِ وتَتَبدَّىٰ قيعانُ البحارِ ،ويتبدَّلُ كلُّ شيءٍ . ولاشيءَ في الرُّوحِ أو النفسِ أو القَلْبِ يبقىٰ ، فلا يعودُ الطائرُ إلى مدينةِ بر العشقِ، ولا ينشغلُ الندىٰ بصوتي ، ولا الصباحُ ينامُ علىٰ صدري يرسمُ عَالَمَهُ .

اعلمي أنَّ في السَّفَرِ قطعًا .

وفي الغيابِ موتًا للشمسِ

وفي البُعدِ تتقشَّرُ الأرضُ وتَعْرَىٰ ، وتَنْسَدُّ سماواتُ الدَّفْقِ .

حكايـة

لمَّا نَزَلَتْ المدينةَ لم أَكُن أعرفُها . أَمْضَتْ شهوراً بها . حدَّثني أحدُ رفقائي عنها . وسلَّمني أوراقاً لَهَا . تركتُها وسافرتُ .

لم أستطعْ قراءةَ خَطِّها بسهولةٍ . غبتُ في الأرضِ شهوراً معدودات أسوحُ في البلدان ، أقرأُ الشِّعْرَ ، أتزوَّدُ ، وأكتشفُ ، وأنكشفُ ، وتنكشفُ روحي ، عدتُ ، كانت الرُّوحُ بيضاءَ كنوال عيسىٰ ، بكرًا ، تنتظرُ مَطَرًا يليقُ بعرشِهَا ، كان اسمُهَا يُبلِّلُ روحي . حدَّثتْني عن أوراقها . وَجَدْتُّها بعد أيام من البحثِ .

قرأتُ . فوجدتُ أمامي روحاً أنْقَىٰ وأبيضَ . وأنَّ غُرْبَتَها فى الأرض طالتْ ، ومَكْثَهَا فى الأزمنةِ قديمٌ . مَدَدْتُ رُوحى لروحها فتعانقتا ، وتَدَاخَلَتَا ، وتَسامَتَا ، وارتفعتا ، واتحدتا ، وَوَصَلَتا إلىٰ أعلىٰ عليين .

لم أرَهَا كثيراً .

طلبتُ الوصلَ إلىٰ النهايةِ . قالت : أريدُكَ هكذا . في الأرض معلَّقٌ بى ، وَقَلْبُكَ طائرٌ معي ، امتحِنْتُ في شيءٍ طلبتُ سؤالَهَا فصمتَتْ . أدركتُ أنَّ الصحراءَ لا تُعطي مالديها ، وأنَّ جسدَ الأوديةِ لا يتحِدُ بها .

بعد أيامٍ ستبدأُ سياحَتَهَا في الأرضِ

ستتركُ المدينةَ . ربَّما تعودُ . هل كانت حُلماً جميلاً ، أم كانت أكثرَ من سماء .

هذه المرأةُ حَفَرَت وانحفرت . هل أحبَّتْ . أحياناًكثيرة : نعم . وأحياناً كثيرة : لا ، وبين نعمٍ ولا ، كلَّ يومٍ هى فى شأن .

لم أنس انفتاحَ سماءين علىٰ مائي ، وسريانَ حُمَّىٰ النار في الجسد واختلافَ الليل والنهار □

إنْ أردْتِ فاقتليني بالوِصَال أو الفِراق

أحوال العاشق

أحمد الشهاوى

وحقيقةٌ داخلي أسْمَىٰ من الكلامِ .

لا تستطيعُ مفرداتي أن تُقَارِبَ نفسي

أنتِ تساوين صمتي ، وفي صمتي صعودٌ بكِ إليك وبلاغةُ السائرِ في الأرض . كلُّ ما كتبتُ وما سأكتبُ محاولةٌ لجمعِ الماءِ في يدِ الزمنِ، واختصارُ الوقتِ في سحابةٍ .

السكينُ التي كانت نائمةً قبل ثوانٍ في جسدِ الخشبِ صَحَتْ لِتَقْتُلَ الورقَ . الكتابةُ منفيةٌ في النسيان .

وَأَنَا في الكونِ وحْدِي ، ذاكرتي اسمها ، وتاريخي دمُهَا ، ولونُ مائي لونُ إنائِهَا .

أين ذَهَبَ نصفُ الليلِ ، هل انضافت ساعاتُهُ إلى العُمرِ المنقضي، توقَّفت الموسيقىٰ ،

أسمعُ صوتَ الهواءِ خفيفاً ، مالوْنُ الهواءِ ، مَالوْنُ عينيها ، لماذا أفكّرُ فى كتابةِ شيءٍ الآنَ ، قبل قليلٍ كان كلُّ شيءٍ أمامي، السماءُ بين يديّ ، والأرضُ مسافرةٌ في روحي .

لا أفكّرُ في الكتابةِ قبل أن أكتبَ ، أنا شاعرٌ أصطادُ سوادَ الليل من نورِ قلبِ السماءِ ، وأرشُّ البحرَ بماءِ الخيالِ ، العشقُ طائري يَصْهَرُ روحي ، العشقُ لبلابُ الأرضِ القديمةِ الذي التفَّ حول شجرة رُوح العاشقِ أنَا ، لمَّا اتَّحَدْتُ بها ، بندَاها ، صَارَ لونُنَا واحداً .

الآنَ . ومنذ سنوات

أنشغلُ بالكتابةِ والقراءةِ والعشق والسفر والزمن والموت

الكتابةُ أنَا . لدمي طَعْمٌ بها . وحياتي تبدأُ منْ أَلِفِهَا . أخافُ الموتَ أن يأتي قبل أن أكتبَ كُلَّ ما أحملُ . هل يجيءُ زمانٌ أَرَى فيه العالمين وكتاباتي واحدا . منذ أشهرٍ لم أكتب سطراً شعرياً . هذا الأمرُ لا يقلقُني ولا يخيفُني ، لا أستطيع كتابة الشعر طالما أنَّ لي ديواناً شعرياً سيخرجُ للناس ، هكذا وجدتُني ، هكذا عرفتُ نفسي ، من المؤكد أنّي سأكتبُ بعد صدور الديوان بأيامٍ أو بأسابيع .

القراءةُ أنَا .

ما جدوى أن يكون لديّ آلافُ الكتبِ ، وكثيرُها لا ينفعُ . بدأتُ أتخلَّصُ من الكتبِ ، كلُّ مالا يفيدُ لا أحتفظُ به . هناك كُتبٌ تُقرأُ مرةً واحدةً فقط . (وهل لديّ عمرٌ لأعيدَ قراءةَ كتبٍ مُهِمَّةٍ مرةً ثانيةٍ) ،

قررتُ أن يكون أمامَ عينيَّ الكتب الأساسية فقط ، وماعداها فمصيرُها خارجُ البيتِ .

هكذا أفعلُ مع الكتبِ ، هكذا أفعلُ مع الشِّعْرِ . الزمنُ ضدّي ، والموتُ ـ أيضاً ـ ضدّي ، ولن يبقيني سوى كتابتي . عليَّ أن أقرأَ نفسيَ والعالمَ وما أنتجتهُ صفوةُ عقولِ الأرضِ . فنهايةُ العشقِ بدايةُ المعرفة .

والمعرفةُ قهوةُ النساء الأبديّةِ ، وكلّما دخلتُ بحرَكِ أدركتُ جهلي ، فاللّهمَّ علِّمْني قراءةَ الجَسَد ، ففيه مَهْبَطُ الأسرار .

العشقُ أنا .

سرُّها . . مازال يملأ المدينةَ شمساً ، تأتي من القُرب لتبتعدَ ، أم تأتي من البُعدِ لتقترب ، مسافةٌ قريبةٌ إلى نفسي ، تطيرُ في الهواءِ ، وتمشي فَوْقَ البَحْرِ ، وتأكلُ النارَ ، وتَنْسىٰ أنَّ زمنَ حضورِهَا أقوىٰ من النسيان . هنأتُ . . نفسي بخيانةِ الطريقِ ، وانسحاب السحاب من سمائي ، شجرُهَا زَيَّنَ الأرضَ في المواسمِ لكنّه لم يُعمِّرْ ، أصْلُهُ لم يَكُنْ ثابتاً ، في نهاياتِ إشاراتِ الوقتِ، تصحو الروحُ ، وتشفُّ النفسُ وأستعيدُ سفري إلىٰ قلبي ، ومن قلبي إلى روحي ، ومن روحي إلى سرّي من سّري إلى وجههَا حيثُ المُنْتَهىٰ .

نلتُ . . إلاّ قليلاً ، لم أر كأسي قَبْلاً ، طُفتُ العالمَ لأحصُلَ عليها ، لم أقعدْ يوماً ولمْ أنَمْ ليلةً ، هل كان للسماوات سقفٌ ؟رأيتُ العالمَ في مرآةِ كأسي ، شَرِبْتُ ، وذُقْتُ مَاءَكِ ، ينبوعُ ماءِ حياتي هو العشقُ ، إنَّ

بقلبي إليكِ ظمأً لا يُروِّيه إلاَّ التلاقي ، جسَدًا طرنا ، صعدنا وبلغنا مقام التوحيد .

هذا حال العاشق ، هذا حال المعشوق .

من وَرْدَتِها .

رأيتُ الأكوانَ وانْخَلَعْت . الطريقُ إلىٰ بيتِهَا يمرُّ عَبْرَ الشَّعْرِ ، وَكَّلتُ أمري كُلَّهُ إليها ، احترقت الآفاقُ بإشراقِ عِشْقِي ، من حشائشِ طريقِ الوردةِ السابحةِ فى الماءِ الدافىء في الغُربةِ عَرَفْتُ نفسي . تحت حَافِرِ فَرَسِ عشْقِي تلاشىٰ كونُهَا ، وَذَابَت ثُلوجُ الولايات ، وظهرت شمسي في الليلِ ، الحشائشُ بنتُ الماءِ ، والماءَ بدءُ انتشاءِ سينِهَا .

إنْ شئْتِ أَحْيَيْتِنى وإنْ شئْتِ أَتْلَفْتِني .

هل أَضَاعَ مُحيطُكِ مَاءَ حِبْرِي

أتنفَّسُ نيراناً ؛ فارسلي للنَّهْر مَاءَ وَرْدِكِ . فلم تكُنْ المدينةُ وعاءً لغريبٍ أتىٰ ، بل حضارتي حَلَّتْ لنكتشفَ العَالَمَ معًا .

تعاليتِ . . وعلا اسمُكِ

قُلتِ لى : دَعْ نَفْسَكِ وتعالَ يا أحمدُ

قُلتُ : إنْ أردتِّ فاقتليني بالوصالِ أو الفِراقِ

أعَدْتُ ما كَتَبْتِهِ فى الحُلمِ ، في اللذَّةِ :

« حبيبي

منذ أن كلَّمتُكَ وأَنَا مُمْتلئةٌ بكَ لدرجةِ الحُرقَةِ ، مُشتعلةٌ بكَ كغابةٍ

تدورُ حَولَ جنونِها بفرحٍ . ذلكَ اليومِ كان بنفسجي الدُّخَان ، لم أهدأ حتَّى سمعتُ صوتَكَ . ليلتَهَا لم أنمْ ، بقيتُ أدورُ وأتقلَّبُ وكأنَّ الشوكَ في لحمي . أَرَدْتُكَ بشدَّةٍ . أَرَدْتُكَ داخلي . هل تفهم .

في الصباح ، ذهبتُ إلى الطريقِ ، لم أقرأْ ولم أكتبْ كلمةً واحدةً ، لم أَقُلْ أو أسمعْ شيئاً . عُدْتُ . ملأتُ البانيو ماءً ساخناً وجعلتُ تشايكوفسكي يهزُّ الجدارنَ والأشجارَ . بعد ذلكَ ، هدأتُ ، وَبصحبةِ كأسٍ ، مُلْتَفَّةً بعُرى جسدي ، كتبتُكَ » .

في برّ العشقِ

كُلُّ شيءٍ يبدأ من وَرْدَتكِ

المآذنُ تَزَيَّنُ بندَى صباحي وليلي

والبيتُ البعيدُ عن العينِ قريبٌ من دمي العاشق □

تلك لا
نهايات
أحوال العاشق

أحوال العاشق

أحمد الشهاوى

(١)

وحيداً كنتُ

وكانت الموسيقى تنزل

من السماءِ مطراً شفّافاً ، فى كلِّ شجرةٍ ماءٍ طيورٌ سوداءُ لها رءوسٌ بيضاءُ باسمةٌ في حُزنٍ رماديٍّ سرمديٍّ. وفى يدِ كلِّ طائرٍ رسالةٌ مكتوبةٌ بلغةٍ لا هى بالعربية ولكنَّها أقربُ إلىٰ نُقَطٍ متفرقةٍ تُمثِّل دوائر عجيبةً لم يرها بشرٌ من قبل . وفي كلِّ صوتِ طائرٍ رسالةٌ أسمعُها . وما بين الرسالتين يكتبُ القلبُ رسالتَهُ .

(٢)

كنتُ أُبصرُ بكِ ، وتبصرين بى

وثيابى كانت مخيَّطةً فى ثيابِكِ

سَقَطَ قمرىَ في سوادِ صحرائكِ ، وسال ضوءُه ماءً

لاالماءُ عَادَلي ، ولا الضوءُ صَعَدَ إلى سمائي .

(٣)

ما جدوى أن أذهبَ إلى العملِ هذا الصَبَاح وكلَّ صَبَاح
كبدي محروقةٌ من شدَّةِ الوجعِ
وحرارةُ باطنِ الجَسدِ أشدُّ مِنْ نَارِ باطنِ الأرضِ
في الأرضِ سَفَرٌ دائمٌ وفِراقٌ، وفي الجَسدِ أحوالٌ تغيبُ وتَحْضرُ .

(٤)

لم يكن قَلْبُها واسعاً . بحرُ مَعْرِفتِهَا لم يَفِضْ . منذشهورٍ طويلةٍ وثلجُ بلادِهَا يزدادُ سَفراً .

مثلُهَا لا يَغْرَقُ في البَحْرِ . أرادت أَنْ تقبضَ علىٰ كلِّ شيءٍ فَمَا قَبَضَتْك إلاّ على سَحَابِهَا . جَسدُهَا جَاهِلٌ ، وأرضُها غيرُ محروثةٍ ، وستفارقُ بَرَّ العشقِ غدَاً .

مَتَىٰ ستمحو أُمّيةَ عَوالمهَا .

(٥)

شاهدتُ دياراً . تتنزَّلُ مِن فوقي . ماأَنْ رأيتُ نساءَهَا ، حتَّى فَنِيَتْ من تحتي .

غَرِقْتُ في البَحْرِ ، وقلتُ : رَحيلُ النَدَىٰ إلىٰ الصحراءِ لا يُنْبِتُ غيْرَ الرّملِ . والصحراءُ لا تتذكَّرُ خيمةً في بلادٍ أخرىٰ ، ولا تعرِفُ دموعاً لتبكي أطلالَهَا .

(٦)

انكشفتُ .

ومشيتُ في النَارِ. حالي مُتَلَوِّنَهُ. رأيتُ فضاءً واسعاً بين يديَّ .

نَزَلَ جَبَلُ نون في قَلْبِي ، فكانت قُبَّةُ السماءِ في روحي ، وَصَلْتُ إلى المستحيلِ وصولِهِ ، لم أَرَكِ . فَأَدْرَكْتُ أَنَّ الصحراءَ اشتعلتْ من صَدَئِهَا ، وأنَّ النَدَىٰ لم يَسِلْ ماؤه منذُ غَادَرَ بَرَّ العشقِ .

(٧)

دخلتُ في نارِكِ ولم أحترقْ .

سَالَ شمعُ وَجهِكِ مِن فَرْطِ ناري فانكشفَ كلُّ شيءٍ .

كانَ بيني وبينكِ ألفُ ألفُ منزلٍ

لو دنوتِ من واحدٍ منها لاحترقت .

عندما تكونين وحيدةً ماذا تقولُ نَفْسُكِ . ماذا تقولُ الحوائطُ لكِ وأنتِ تنامين كثيراً ، صِرتِ عاديةً .

جَهِلْتِني . ولم تعرفي نَفْسَكِ , لم تعرفي

ومن لا يعرفُ لا يحبُّ ، لأنَّ المحبَّةَ ثمرةُ المعرفةِ .

لم تقرئي الدُّنيا ولم تقرئيني . نَزَلَتْ الشمسُ عند بابِكِ ، وصارتْ بين يديكِ طالعةً ، لم تقاسي قُوتَهَا ، وقالتْ : أَنَا لكِ .

فَلم تشربى نورَهَا ، وظلَّت ظُلُمَاتُ نَفسِكِ غامضةً . بَرُدَت الشمسُ بثلجكِ .

لم أرَ يوماً علاماتِ المحُبِّ باديةً عليكِ

وعلامة المحبِّ أنَّهُ لا يرى شيئاً سوى محبوبه . وأوَّلُ المحبّةِ طلبُ المحبوبِ للنفْسِ ، وَنَفسُكِ غامضةٌ .

(٨)

هذه أحوالي فاعلمي أنَّ :

المبتدىءَ تملكُهُ الأحوالُ ، **والواصلَ يملكُ الأحوالَ .**

والحُزَن لا يكونُ إلاَّ لفواتِ محبوبٍ

وأنَّ بئري عميقةٌ نزلتُ فيها فلم أجدْكِ .

أردتُ لاسمِكِ أنْ يغرِقَ في بَحرِ اسمي ، فَطَفَتْ حروفُكِ على الماءِ فأكَلَتْهَا الأسماكُ ، وضربَتْهَا السفائنُ .

أَخذَتْنى رجفةٌ فقلتُ اسْتَقِمْ كما أُمِرْتَ يا أحمدُ ، هذه أحوالُكَ ، والأحوالُ مواهبٌ من اللهِ نازلةٌ وموصولةٌ بسمائِهِ وسمائِكَ .

وَقُلتُ :

اللَّهم اغسلني بماءِ الثلجِ والبَرَدِ . فَأنَا العاشقُ ، شمسُ روحي ورائي ، وَنَدَىٰ محبَّتي صحراءُ . أَلِفُ اسمى سماويةٌ وياؤه أرضيةٌ ، وكذلك العرشُ سماويٌّ والقَلبُ أرضيٌّ فَمَلَكْتُ العرشَ والقَلْبَ ، بَدَأَتْ

حروفي بالسماءِ وانتهتْ بالأرضِ ومابينهما سماواتٌ لانهائيةٌ وَأَرَضُونَ لا نهائيةٌ .

عشقي لا نهائيٌّ . وأحوالي موصولةٌ .

قدمي أَنَا العاشقُ في النهايةِ والأخرىٰ في اللانهايةِ .

(٩)

أنا من أهوىٰ ومن أهوىٰ أنـا

نحـن روحـان حَلَلْنَا بَدَنَـا

فـإذا أَبْصَرْتَنـي أَبْصَرْتَـــهُ

وإذا أَبْصَرْتَـــهُ أَبْصَرْتَنَـــا □

أحمد الشهاوي

وُلِد بمدينة دمياط فى ١٢ نوفمبر عام ١٩٦٠ ، وعاش فيها خمس سنوات ، ثم انتقل مع أسرته للعيش فى قريته « كفر المياسرة » التى تبعد عن المدينة ٤٠ كيلو متراً. حيث درس المرحلة الابتدائية بها ، ثم المرحلتين: الإعدادية والثانوية بالزرقا ، ثم التحق بكلية التربية بدمياط جامعة المنصورة (قسم الرياضيات) ، وظل عاماً واحداً ، بعدها قرر دراسة الصحافة ، فالتحق بقسم الصحافة بكلية الآداب بسوهاج - جامعة أسيوط ، والذى تخرج فيه فى مايو ١٩٨٣ .

وشارك - أيام دراسته للصحافة - فى تأسيس جريدة « صوت سوهاج » وهى جريدة شهرية يحررها طلاب قسم الصحافة وكان يرأس القسم الثقافى بها .

والتحق بالجيش المصرى لأداء الخدمة العسكرية فى أبريل ١٩٨٤ . وأثناء أدائه الواجب الوطنى كان قد دخل جريدة الأهرام فى ١ يناير ١٩٨٥ ليعمل فى قسم الأخبار ، وفى ١٨ فبراير ١٩٩٠ صدرت مجلة نصف الدنيا (الأسبوعية) عن مؤسسة الأهرام ، ليتولى مهام سكرتير تحرير المجلة ، ثم نائبا لرئيس التحرير فى مايو

٢٠٠٠ ميلادية وهو من المؤسّسين لها ، وفي سبتمبر ١٩٩١م، شارك في برنامج الكتّاب الدوليينInternational Writing Program بالولايات المتحدة الأمريكية لمدة ثلاثة أشهر وتم منحه شهادة الزمالة في الأدب من جامعة أيوا في ١٢ من ديسمبر ١٩٩١ . وفي سبتمبر ١٩٩٤م حاز علي دبلوم خاص في الثقافة والعلوم من المركز الأيونيIonic Center ، ترجمت قصائده إلى لغات عدة .

ـ عضو في الموسوعة العالمية للشعراء Who's Who ١٩٩٢م .

ـ حاز علي جائزة اليونسكو في الآداب عام ١٩٩٥ م .

ـ شارك في برنامج مؤسسة جيراسي الإبداعية أكتوبر ١٩٩٥م ـ سان فرانسيسكو ـ كاليفورنيا .

ـ حاز على جائزة كفافيس في الشّعر مايو ١٩٩٨ م .

■ **صدر له :**

١ ـ ركعتان للعشق ـ دار ألف للنشر ـ القاهرة ـ ١٩٨٨م .

٢ ـ الأحاديث « السِّفْر الأول »

ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ١٩٩١ م .

٣ ـ كتاب العشق ـ دار سعاد الصباح ـ القاهرة ـ ١٩٩٢م .

٤ ـ الأحاديث « السِّفْر الثاني »

ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ١٩٩٤ م .

ـ مكتبة الأسرة ـ مهرجان القراءة للجميع ـ القاهرة ـ ١٩٩٩ م .

٥ ـ أحوال العاشق ـ الدار المصرية اللبنانية ـ القاهرة ـ ١٩٩٦م.

٦ ـ الأحاديث « مختارات »

ـ الهيئة العامة لقصور الثقافة ـ القاهرة ـ ١٩٩٦م .

٧ ـ كتاب الموت ـ الدار المصرية اللبنانية ـ القاهرة ـ ١٩٩٧ م .

٨ ـ قُلْ هي ـ الدار المصرية اللبنانية ـ القاهرة ـ ٢٠٠٠ م .

■ **قيد النشر :**

١ ـ حدَّث الزمن قال لي

٢ ـ الأحاديث « السِّفْر الثالث » .

٣ ـ جغرافيا العشق .

■ أبرز الدراسات والمقالات حول الشاعر :

١ ـ إبراهيم أغلان : أحاديث العشق والموت والحضرة ـ« الرياض » ـ السعودية ـ ١٩ من سبتمبر ١٩٩٦ م .

٢ ـ د . إبراهيم الدسوقي شتا : « كتاب الموت » لأحمد الشهاوي . . الحياة في أقنعة الموت ـ أخبار الأدب ـ القاهرة ـ ٢ من مارس ١٩٩٧م.

٣ ـ أحمد بخيت : أحاديث الشهاوي ـ رحلة الذات في البحث عن الأنوثة الأبدية .

٤ ـ إدوار الخراط : «أحوال العاشق» للشاعر أحمد الشهاوي : تأملات شعرية مستلهمة من خبرات صوفية مطلقة ـ الرأي ـ عمان ـ الأردن ٢ و ٩ من أغسطس ١٩٩٦ م .

٥ ـ إدوارد الخراط : عن القلق الصوفي المعاصر في أحاديث أحمد الشهاوي ـ فصول ـ المجلد الحادي عشر ـ القاهرة ـ صيف ١٩٩٢م.

٦ ـ إدوار الخراط : قراءة شعر أحمد الشهاوي : تدفق الموت ولهب البقاء في السِّفر الثاني من « الأحاديث » ـ الحياة ـ لندن ـ ١١ من أبريل ١٩٩٥م .

٧ ـ إدوار الخراط : «أحوال العاشق» لـ « أحمد الشهاوي » سيرة ذاتية كتبها بروح صوفية ـ سطور ـ القاهرة .

٨ ـ اعتـدال عثمان : تجليات البحر والوطن في « ركعتان للعشق » للشاعر أحمد الشهاوي ـ إبداع ـ القاهرة ـ أغسطس ١٩٨٨م .

٩ ـ اعتـدال عثمان : خيال أحمد الشهاوي يغافل وعيه ـ قصائد مشحونة بالقلق والجوع إلى المعرفة ـ الشرق الأوسط ـ لندن ـ ٢٤ من نوفمبر ١٩٩٣م .

١٠ ـ جمال الغيطاني : كلمة غلاف السِّفر الأول من الأحاديث ـ القاهرة ـ يناير ١٩٩١ .

١١ ـ جمال الغيطاني : أحاديث الشهاوي ـ الأخبار ـ القاهرة ٨ من مايو

١٢ ـ جمال الغيطاني : ١٩٩١ . أحاديث الشهاوي ـ الأخبار ـ القاهرة ٢٣ من مارس ١٩٩٤م .

١٣ ـ جمال الغيطاني : يكتب عن الشاعر أحمد الشهاوي ـ الصحافة ـ تونس ـ ٢١ من أبريل ١٩٩٥ م .

١٤ ـ خالد الأنشاصي : خطوة باتجاه الحياة في « كتاب الموت »

١٥ ـ خالد زغريت : مخيلة الذاكرة وصورة الرؤيا في ديوان الأحاديث للشاعر أحمد الشهاوي . .

١٦ ـ خالد زغريت : جماليات انكشاف حواس النص عند الشاعر أحمد الشهاوي ـ الموقف الأدبي ـ دمشق ـ يناير ١٩٩٩م .

١٧ ـ خيري شلبي : أحوال العاشق أحمد الشهاوي : رحلة الصوفي المفتون إلى وطن النوال .

١٨ ـ رشيد العناني : قراءة أولية في شعر أحمد الشهاوي، ـ الحياة ـ لندن ـ ٢٤ من يوليو ١٩٩٤ م .

١٩ ـ رفعت سلاّم : قراءة في ديوان « الأحاديث » للشاعر أحمد الشهاوي ـ ماذا يحدث حين تواجه الذات الشعرية خراب العالم ؟ البيان ـ الإمارات ٢٩ من مايو ١٩٩٩١ م و « الشعر » ـ القاهرة ـ يوليو ١٩٩١ م .

٢٠ ـ زكية مال الله : البدايات الصوفية في « أحاديث » أحمد الشهاوي ـ أدب ونقد ـ القاهرة ـ العدد ٦٧ من مارس ١٩٩١ م .

٢١ ـ زهير غانم : الشاعر المصري أحمد الشهاوي في تجربته الجديدة «كتاب الموت » . . التجربة الشعرية صوفية الاختيار والاختبار ـ الشاهد ـ بيروت ـ سبتمبر ١٩٩٧م .

٢٢ ـ صبري حافظ : «الأحاديث» ـ نفحات التصوف وأحدث تحولات الخطاب الشعري ـ العرب ـ لندن ـ ٥ مايو من١٩٩٢م .

٢٣ ـ د . صلاح فضل : مع أحمد الشهاوي . . قراءة في كتاب الموت ـ المصوّر القاهرة ـ ٢١ من مارس ١٩٩٧م .

٢٤ ـ عبد العزيز بومسهولي : «الأحاديث» ـ السِّفر الثاني لأحمد الشهاوي دلالات وجودية في الفضاء الصوفي (١) توحد المرأة ـ القصيدة بالشاعر وتحول اللغة مادة للعشق (٢) ٢٤ ، ٢٥ من يونيو ١٩٩٤م ـ القدس ـ لندن .

٢٥ ـ عبد الله السمطي : مرايا النص المفتوح قراءة في كتاب العشق لأحمد الشهاوي ـ الرياض ـ السعودية ـ ٢٣ من فبراير ١٩٩٣م .

٢٦ ـ عبد الله السمطي : أحمد الشهاوي : عندما يستوفي النص دلالاته : أحاديث شعرية عن الموت والعشق وحرارية الذات تبدو في حال غياب ـ الحياة ـ لندن ـ ١٨ من مايو ١٩٩٤م .

٢٧ ـ عبده وازن : القصائد حيث وجه الأم يتماهي في وجه الحبيبة ـ «الحياة» ـ لندن ـ ٣ من سبتمبر ١٩٩٦ م .

٢٨ ـ عزازي علي عزازي : لغة التجاوز وتصوير مالا يُصور ـ جريدة العربي ـ العدد ١٦٣ ـ ٢٧ مايو من ١٩٩٦ م .

٢٩ ـ علاء الديب : أحاديث الشهاوي ـ عالم اليوم ـ ٤ من ديسمبر ١٩٩١م.

٣٠ ـ د. عمرو عبد السميع : عاشق ـ الأهرام الدولي ـ ١١ من يونيو ١٩٩٩م .

٣١ ـ عناية جابر : أحمد الشهاوي في (الأحاديث) . . الشعر في احتراقه ذاكرة ثابتة ـ « السفير » ـ بيروت ـ ١٩ من أكتوبر ١٩٩٦م .

٣٢ ـ غادة نبيل : قراءات في « الأحاديث » لأحمد الشهاوي : موت الكلمة وكلمة الموت ـ « أدب ونقد » ـ القاهرة ـ العدد ١٣٧ ـ يناير من ١٩٩٧ .

٣٣ـ د . فتحي أبو العينين : منازلة الموت على أرض الشعر ـ قراءة في « كتاب الموت » لأحمد الشهاوي

٣٤ـ د . محمد عبد المطلب : تعدد الخواص في أحوال العاشق لأحمد الشهاوي .

٣٥ـ د . محمد عبد المطلب : في شعرية الحداثة لدى أحمد الشهاوي : لغة القلب ـ الصحافة ـ تونس ـ ١٠ من مايو ١٩٩٥ م .

٣٦ ـ محمد الفارس : أحاديث أحمد الشهاوي ـ كيف نصنع أصل العالم الجديد ـ الثقافة الجديدة ـ العدد ٥٠٨ ـ القاهرة ـ يوليو ١٩٩٣م .

٣٧ ـ محمد الفارس : أحاديث الشهاوي ـ رحلة إسراء خاصة ـ الثقافة الجديدة ـ العدد ٧٢ ـ القاهرة ـ سبتمبر ١٩٩٤م .

٣٨ ـ محمد مستجاب : أشجان الشهاوي ـ أخبار الأدب ـ القاهرة ـ ١٥ من سبتمبر ١٩٩٥ م .

٣٩ ـ د . مصطفي الضَّبع : تجليات السرد في القصيدة الحديثة . . أحمد الشهاوي نموذجاً .

٤٠ ـ د . مصطفي الكيلاني : « أحاديث » العشق والموت لأحمد الشهاوي

٤١ ـ مصطفي عبد الغني : التشكيل بالموروث في ديوان « ركعتان للعشق » ـ الموقف العربي ـ القاهرة ـ يونيو ١٩٨٨ م .

٤٢ ـ مصطفي عبد الغني : أحاديث أحمد الشهاوي الشاعر والفردوس المفقود ـ الثقافة الجديدة ـ القاهرة ـ يوليو ١٩٩١م .

٤٣ ـ منى طلبة : نص يبحث عن العودة ـ قراءة في أحاديث الشهاوي ـ إيقاعات ـ العدد الأول ـ القاهرة ـ أبريل ١٩٩٣م .

٤٤ ـ ميّ التلمساني : «أحوال العاشق» لأحمد الشهاوي : حالات العشق بين القوالب الشعرية والنثر ـ القدس العربي ـ لندن ـ ٢٢ من يوليو ١٩٩٦م .

٤٥ ـ ميّ التلمساني : «أحوال العاشق» لأحمد الشهاوي : العشق والموت ذريعة الكتابة والإبداع ـ القدس العربي ـ لندن ـ ٢٣ من يوليو ١٩٩٦م .

٤٦ ـ ميّ التلمساني : « كتاب الموت » . . يجمع العالم في واحدٍ ـ المدى ـ دمشق ـ ١٦ من يونيو ١٩٩٧م .

٤٧ ـ ميلاد زكريا يوسف : حروب الشهاوي في « كتاب العشق » .

٤٨ ـ نبيل مَنْصَر : رهان الكتابة في « أحوال العاشق » : مقاربة تأويليّة ـ القدس ـ لندن ـ ٢١ من أكتوبر ١٩٩٨م .

٤٩ ـ وائل عبد الفتاح : أحاديث أحمد الشهاوي ـ مونولوج لذات تتوق إلى الأمان المستحيل ـ الحياة ـ لندن ـ ٧ من يناير ١٩٩٣م .

٥٠ ـ يوسف إدوار وهيب : وهم الوحدة ـ استفتاء للكثرة ـ القاهرة ـ العدد ١٤٣ ـ القاهرة ١٩٩٤م .

٥١ ـ يوسف إدوار وهيب: قراءة في « كتاب الموت » لأحمد الشهاوي . . محاربة

الموت بما هو حي في ذاكرة الشاعرة ـ الوطن ـ الدوحة ـ ١٦ من أغسطس ١٩٩٧م .

■ دراسات في كتب :

١ ـ خالد زغريت : أهرامات السراب . . نهايات القصيدة العربية الحديثة في نهايات القرن العشرين ـ دار المعارف بحمص ـ سورية ١٩٩٧م

٢ ـ د . صلاح فضل : حوارات نقدية ـ الكتاب الأول ـ الجمعية المصرية للنقد الأدبي ـ القاهرة ١٩٩٧ م .

: نبرات الخطاب الشّعري ـ دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ١٩٩٨م .

٣ ـ د . عمرو عبد السميع : جمهورية الحبّ .. أوراقي عن الفن والثقافة ـ الدار المصرية اللبنانية ـ القاهرة ـ ١٩٩٩ م .

٤ ـ د . محمد عبد المطلب : النصّ المشْكِل ـ الهيئة العامة لقصور الثقافة ـ القاهرة ـ ١٩٩٩م .

: مناورات الشعرية ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ ١٩٩٦ م .

٥ ـ د . يوسف زيدان : التقاء البحرين ـ الدار المصرية اللبنانية ـ القاهرة ـ ١٩٩٧م .

ـ على نورِكِ أقرأ أوراقَ روحي .	7
ـ وهل العشقُ إلا موتٌ يوميٌّ ؟!	11
ـ بلادُ العشقِ لا تعرفُ . . « رُبَّما » !	17
ـ صرتِ لي . . وكُنْتُ لكِ	25
ـ بِحَطَبِ أشواقِها أشعلت البَيْتَ !	35
ـ إذا نَأَتْ الديارُ أُنَاجيك بِذِكْرِ قلبي	45
ـ بَحْرُها يُدْخِلُني إلىٰ جنَّةِ الوصلِ والرؤيا	55
ـ لم أدرِ في بحر الهوىٰ . . أين موضعي ؟!	65
ـ بُعادُكَ ناري واقترابُكَ جَنَّتي !	75
ـ أنا في غُربتين . . وحدي وغيابُها !	85
ـ عموم كوني يهوىٰ حُسْنَهَا	95
ـ أنتِ سماءٌ زُيِّنَتْ بمصابيحي	103
ـ كيف أكونُ معكِ . . كيف أكونُ قريبًا منكِ ؟	117
ـ اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ غَلَبَةَ الشَّوْقِ	125
ـ قلبي مُعَلَّقٌ بمخْلَبَيْ طائر	133
ـ يكادُ سَنَا بَرْقِهَا يُذهِبُ بَصَري	141

ـ نُقْطَتُهَا بَحْرٌ من اللذَّةِ سائرٌ في السماواتِ	149
ـ على سَفَرٍ أنَا كأنَّ الموتَ تحتي	157
ـ لا شيءَ معلومٌ لَدَيَّ إلاّكِ ونفسي	163
ـ خُلِقْتُ لأكونَ في قَلْبِ قَلْبِ الأكوان	171
ـ ذرَّاتُ روحي محمولةٌ عَلىٰ بُخارِ دَمِكِ	179
ـ إنْ أردتِ فاقتليني بالوِصَالِ أو الفِرَاقِ	187
ـ تلك لا نهايات أحوال العاشق	195

رقم الإيداع بدار الكتب : ١١١٤٨ / ٢٠٠١
I.S.B.N 977 - 01 - 7285 - 5

بين الحلم والواقع كانت مسافة زمنية ربما بدت لى طويلة أو مختلفة ولكن الأهم أن الحلم أصبح واقعًا ملموسًا حيًا يتأثر ويؤثر، وهكذا كانت مكتبة الأسرة تجربة مصرية صميمة بالجهد والمتابعة والتطوير، خرجت عن حدود المحلية وأصبحت باعتراف منظمة اليونسكو تجربة مصرية متفردة تستحق أن تنتشر فى كل دول العالم النامي وأسعدنى انتشار التجربة ومحاولة تعميمها فى دول أخرى. كما أسعدنى كل السعادة احتضان الأسرة المصرية واحتفائها وانتظارها وتلهفها على إصدارات مكتبة الأسرة طوال الأعوام السابقة.

ولقد أصبح هذا المشروع كيانًا ثقافيًا له مضمونه وشكله وهدفه النبيل. ورغم اهتماماتى الوطنية المتنوعة في مجالات كثيرة أخرى إلا أننى أعتبر مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة هى الإبن البكر، ونجاح هذا المشروع كان سببًا قويًا لمزيد من المشروعات الأخرى.

ومازالت قافلة التنوير تواصل إشعاعها بالمعرفة الإنسانية، تعيد الروح للكتاب مصدرًا أساسيًا وخالدًا للثقافة، وتوالى «مكتبة الأسرة» إصداراتها للعام الثامن علي التوالى، تضيف دائمًا من جواهر الإبداع الفكرى والعلمى والأدبى وتترسخ على مدى الأيام والسنوات زادًا ثقافيًا لأهلى وعشيرتى ومواطنى أهل مصر المحروسة مصر الحضارة والثقافة والتاريخ.

سوزان مبارك

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

الثمن ٢٠٠ قرش

مكتبة الأسرة

مهرجان القراءة

6
a
Bibliotheca Alexandrina
05335124